مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

سكان العراق (المسار الحتمي، والفرص الممكنة، والاستجابات المحدودة)

د. علي عبدالأمير الكعبيّ

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2023

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

سكان العراق (المسار الحتمي، والفرص الممكنة، والاستجابات المحدودة)

د. علي عبدالأمير الكعبي*

مقدمة

مع بداية التفكير بمغادرة فكرة الحتمية الجغرافية الطبيعية، والتي سيطرت على الفكر الإنساني لعقود سرعان ما عادت، ولكن بمنظور جديد، وبدت تستحوذ على الأفكار والنقاش، ولكن حتمية ببعد الجغرافية البشرية، وتحديداً ببعدها السكاني، وجوانبها الديموغرافية، والاجتماعية، والحضارية، والثقافية، وتتمحور في حتمية التغيير والتغيير المستمر في مسار لا يمكن تغييره للمجتمع السكاني في اتجاهات الانتقال الديموغرافي تمر به جميعها إلا أنَّها تختلف فيما بينها في سرعته، وستنال كلاً من خصائصه نصيب منها والبعد الآخر في التأثيرات الناجمة عن البعد الأول ترتبط بكل مرحلة من مراحل التغيُّر، وتتعلَّق بالفئة السكانية كالأطفال والشباب والفتيات والنساء كبيرات السن، وأحوالهم، أو المجتمع السكاني ككل، وتتعدَّاه إلى أوضاع البلد ومستقبله أمام هذه الحتمية ببعديها، ويعمل الجميع كحكومات ومؤسسات ومنظمات للمواجهة والتهيؤ والاستثمار والتوجيه.

تتعرَّض هذه الدراسة إلى الأبعاد الثلاث، وهي التغييرات الديموغرافية والسكانية التي يمر بها، وستحدث في المجتمع السكاني في العراق حتى عام 2050، وتتحدَّث عن صورة التغيُّر الحتمي حتى ذلك التاريخ، وفي قبال ذلك تتطرَّق إلى التأثيرات والتحديات في كل منها، وبمجالاتها الديموغرافية، والتنموية، وتحاول في النهاية أن ترسم ملامح عامة للعمل في البعد الرسمي، وغير الرسمي وما يميز الدراسة أنَّها الأولى من نوعها، إذ تنظر إلى التغيُّرات مجتمعة، وللأبعاد المذكورة، ولمدة تصل إلى أكثر من (35) سنة من الآن. وظَّفت فيها أسلوب المحاكاة، وفي كل الأحوال لا يمكن لهذه الصفحات أن تستكملها استكمالاً وافياً، ويراد أن تزداد الكتابات في هذا المجال؛ للفت النظر إلى أهميتها أولاً، والمساهمة في صنع القرارات وبناء السياسات ثانياً.

فالسكان متغيُّر كمي ونوعي، يؤثِّر ويتأثَّر بالتغييرات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والبيئية، ويجب النظر إليها مجتمعة، واعتماد نهج دورة الحياة في التخطيط الإنمائي بدلاً عن التخطيط التقليدي المتبع اليوم في العراق.

* أستاذ الديموغرافيا والدراسات السكانية، جامعة بغداد.

حجم السكان إلى أين؟ (تحديات متعددة واستجابات محدودة):

يتغيَّر حجم السكان في كل دقيقة، ويمثِّل مسار هذا التغيُّر الكمي في العقود القادمة تحولاً ديموغرافياً وسكانياً سينعكس على حياة الأفراد والدولة، فما هي طبيعة التغيرات الجديدة؟ وما تهديداتها، ومخاطرها، ومستلزماتها، وفرصها الضائعة فيما لو لم يخطط لها لتكون ذات أثر متعدد الأبعاد؟

يبلغ سكان العراق مع بداية عام 2022 (41 مليون نسمة)، مقابل (40 مليون نسمة) للعام الماضي، وبزيادة سنوية تقدَّر بـ(900 ألف نسمة) تقريباً، تضاعف سكان العراق بمقدار (3.5) ثلاث مرات ونصف منذ عام (1977)، إذ بلغ حينها (12 مليون) وسيتضاعف (6 مرات) حتى عام (2050)، وتميَّز في الربع الأخير من القرن العشرين بالزيادة بوتيرة عالية، وتكشف هذه الأعداد أنَّ الزيادة ستكون ما يقارب (8.5 مليون) كل عشر سنوات، وتشير التقديرات بحساب معدل النمو المتوسط إلى أنَّ حجم السكان سيبلغ في عام 2050 (71 مليون نسمة)، أي: ما يقارب ضعف سكان اليوم.

حجم سكان العراق للمدَّة (1977–2050)

السنة	مجموع السكان
1977	12000497
1987	16335000
1997	22046000
2007	29682000
2015	35212600
2019	39127900
2020	40150174
2021	41190658
2025	45520500

السنة	مجموع السكان
2030	51211700
2050	71341000

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء المجموعة الإحصائية السنوية، تقديرات السكان للجهاز المركزي للإحصاء، تقديرات السكان من عمل الباحث باعتماد معدلات النمو السكاني المتغير.

هذا التضاعف في عدد السكان ناتج بالدرجة الأساس من استمرار معدلات الخصوبة بالارتفاع مع الانخفاض التدريجي، إذ يقابله انخفاض في معدل الوَفَيَات وارتفاع أمد الحياة، ويتميَّز سكان العراق في حالة الزيادة السكانية ليكون حالة شاذة في المنطقة، وسيكون في عام 2050 ثاني أكبر دولة عربية من حيث حجم السكان بعد مصر[1].

سينعكس هذا التغيُّر الديموغرافي على تغييرات سكانية يراد التعامل معها بصور مختلفة تتناسق مع تلك التغيرات، وبمعايير الحاجات السكانية المتباينة وَفْق الفئات العمرية أو الجنس. ومع ارتفاع معدلات النمو السكاني في العراق، وغياب النمو الاقتصادي الملموس، فإنَّ ركوداً في مستويات المعيشة في أحسن الأحوال، أو تدهورها هي الحالة الملازمة والسائدة في العراق اليوم. يترتَّب، وسيترتَّب على هذه المعدلات المرتفعة للنمو السكاني تداعيات كبيرة، فتحسين مستويات المعيشة يتطلَّب أن تكون معدلات النمو الاقتصادي الإجمالية أعلى من معدلات النمو السكاني، وترتبط هذه المعادلة باستثمار نتائج تغيُّر معدلات النمو السكاني التي بدأت تحدث في العراق، وبدء دخول العراق النافذة الديموغرافية. يفوق معدل النمو السكاني في العراق مثيلاته الإقليمية والعالمية، إذ بلغ (2.4%) سنوياً في عام 2022 منخفضاً عن عام 1980 والذي كان يبلغ (3.1%) سنوياً. سيبقى معدل النمو السكاني يصنَّف بأنَّه الأعلى عالمياً، مع انخفاضه المستمر، ومن المتوقَّع أن يصل إلى (1.3%) سنوياً في عام 2050، وسيشكل حينها زيادة عددية تفوق الزيادة العددية المسجَّلة اليوم، وستبلغ (923000 نسمة)، ويوصف هذا المعدل بأنَّه الأسرع، مع انخفاضه البطيء، ويمثِّل تغيراً طبيعياً وحتمياً إلا أنَّ الزيادة المطلقة مستمرة في العقود المقبلة.

سيولِّد هذا التغيُّر في حجم النمو السكاني ومعدلاته تغييرات سكانية متعددة تترابط فيما بينها؛ لتشكِّل أوضاعاً سكانية جديدة، يجب أن تأخذ بالحسبان في بناء الإستراتيجيات والقرارات،

1. منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا اليونيسيف 2019 ص 19.

ابتداءً من الآن، فهي تغيُّرات حتمية تستوجب استجابات حتمية أيضاً، ومع هذا التغيُّر أصبحت النظرة إلى السكان بوصفه جزءاً من القرارات التي تتخذها الحكومات؛ لأنَّها جزء من تحسين نوعية حياتهم، فالخصائص الكمية والنوعية للسكان جزء أساسي في تحقيق التنمية، وإجراء تغيرات كمية ونوعية في السكان هو أفضل السبل في ذلك.

تطوُّر معدل النمو السكاني في العراق للمدَّة (1980–2050)

السنة	معدل النمو السكاني %
1980	3.1
1997	3.04
2007	3.02
2017	2.6
2022	2.4
2050	1.3

المصدر: من عمل الباحث.

تطور معدل النمو السكاني في العراق حتى عام 2050

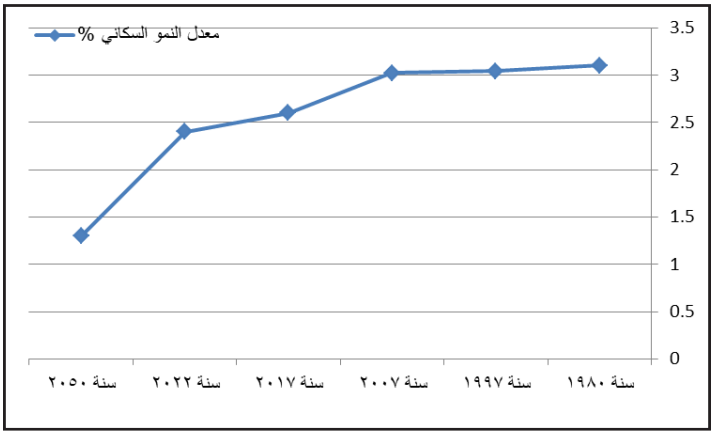

المصدر: باعتماد الجدول.

الخصوبة السكانية (التغيُّر البطيء، والتأثير المتعدِّد)

الخصوبة السكانية أكثر المتغيرات السكانية تأثُّراً وتأثيراً بالسكان، وأعمقها تفاعلاً، وهي أساس الانتقال الديمغرافي والكشف عنها وعن مسارها المستقبلي يكشف مسار التحولات الديموغرافية والسكانية.

ويلاحظ انخفاض معدل الخصوبة في العراق انخفاضاً أقل سرعة من معظم البلدان، وهذا التناسب في سرعة الانخفاض يجعل العراق صاحب أكبر زيادة سكانية في المنطقة، وسيشهد بسببها أكبر زيادة في السكان الشباب، والسكان الداخلين في سوق العمل، وستتأثَّر معها الوَفيَات والهجرة والأسرة ونظامها، ونمط الحياة، وتتغيَّر أوضاع كبار السن في العقود المقبلة. ففي (20 سنة) المقبلة ستنخفض الخصوبة في عام 2050 إلى (2.5/ امرأة/ مولود) ليكون العراق من الدول التي تصل إلى مستوى الإحلال في حينها كآخر دولة في المنطقة بذلك، إذ ستسبقها بعقود أغلب دول المنطقة، وبدأت الخصوبة بالانخفاض انخفاضاً واضحاً منذ عام (1980)، إذ كانت معدلاتها تصل إلى (6.4/مولود/امرأة)، ثم إلى (5.3/مولود/امرأة) في عام (1995)، و(4.08/مولود/امرأة) في عام (2015)، ثم (3.8/مولود/امرأة) اليوم، ومن المتوقَّع أن تصل المعدلات إلى (2.5 / مولود / امرأة) في عام 2050، ومع أنَّه منخفض عن السنوات السابقة؛ إلا أنَّه سيصنَّف حينها بالمعدل الأعلى في العالم.

جدول تغيُّر معدلات الخصوبة السكانية في العراق حتى 2050

السنة	معدل الخصوبة مولود/ امرأة
1980	6,4
1995	5,3
2015	3,8
2021	3.6
2050	2,5

المصدر: وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المجاميع الإحصائية، مسوحات السكان، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014.

ويعود هذا التناقص البطيء مقارنة بدول العالم حالة فريدة من نوعها، يكمن أحد أسبابها بطء التوسع في الاقتصاد وضعفه[2]، ويلاحظ أنَّ تغيُّراً كبيراً في أهم المتغيرات السكانية الكمية وأكثرها تأثيراً وهي الخصوبة ذات التأثير المباشر في المواليد ومعدلاتها والخصائص السكانية. يتمثَّل هذا التغيُّر بالهبوط، واستمراره، وستتزامن مع هذا التعقيد في معدلات الخصوبة تغيُّراً في معدلات المواليد يتصف بالانخفاض البطيء، والمتوافق مع انخفاض الخصوبة، فبعد أن كان معدل المواليد الخام في العراق (41 بالألف) انخفض إلى (28.1 بالألف) عام 2021، فلم تنخفض المعدلات في (25) سنة سوى (3 بالألف) تقريباً، ومقارنة بمعدل الوَفيَات، فإنَّه يمثِّل أعلى زيادة طبيعية للسكان اليوم، أو من المتوقَّع أن يصل هذا المعدل إلى (19 بالألف) في عام 2050 مقارنة بارتفاع في معدلات الوَفيَات في حينها؛ لتخفيف معدل الزيادة الطبيعية، وبسبب انخفاض في المعدل النمو السكاني يبلغ (21.3%) سنوياً.

تغيُّر معدلات المواليد في العراق حتى عام 2050

السنة	معدل المواليد (بالألف)
1977	46.1
1980	43.7
1995	32.1
2005	31.2
2015	30.1
2021	28.1
2050	19

المصدر: من عمل الباحث باعتماد نتائج التعدادات والمسوح السكانية في وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014.

2. الأمم المتحدة الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014 ص 15.

شكل تطوُّر معدل الخصوبة والمواليد في العراق

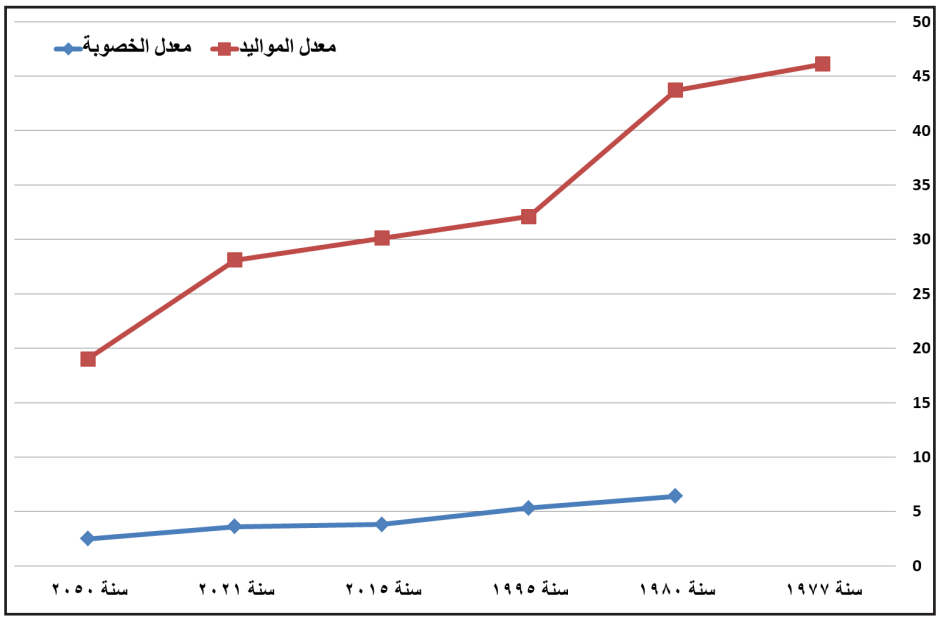

ستؤدِّي هذا العملية من التغيُّر في معدل الخصوبة والمواليد الناتج عن تغيُّر نمط الزواج وارتفاع متوسط عمر الزواج منها واستخدام وسائل تنظيم الأسرة وتغيُّر السلوك الإنجابي إلى ما يقارب (1.9 مليون) ولادة في 2050 مرتفعة بذلك عن عام 2030 (1.5 مليون) ولادة سنوياً، بعد أن بلغت اليوم (1.3 مليون) ولادة سنوياً.

ويلاحظ مع انخفاض هذه المعدلات من الخصوبة والمواليد؛ إلا أنَّها تؤدِّي إلى زيادة سكانية تفوق الزيادة السكانية الحالية، والتي لا تتعدَّى (1 مليون) سنوياً. وسيوصف العراق في حينها، أي: في عام (2050) بأنَّه يمثِّل أكبر عدد ولادات في المنطقة ككل ما عدا مصر. تحتاج هذه التغيرات التي تحدث تغيُّراً هيكلياً وتنظيمياً في السكان وأعداده إلى سياسات متعددة الأغراض، إذ إنَّ معدلات الخصوبة المتراجعة لا تقود إلى إبطاء النمو السكاني، وإنَّما إلى نقلة نوعية في الهيكلية العمرية للسكان[3]، وهذا التأثير المباشر في حجم الأسرة، ونظامها، والخصائص النوعية، والاجتماعية، والاقتصادية للسكان.

3. الأمم المتحدة الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014.

فمع الانخفاض في معدل الخصوبة والمواليد من (3.8/مولود/امرأة)، و (30بالألف/مولود/سنوياً) في عام (2020) إلى (2.5 مولود/امرأة) و(19 بالألف/ مولود/سنوياً) في عام 2050، فإنَّ عدد المواليد في العام الأخير سيكون بواقع (1.349.000 مولود) مقابل (1.189.000 مولود اليوم)، فمع انخفاض الخصوبة السكانية الكبير والبطيء؛ إلا أنَّ أعداد المواليد ستكون أكبر في العقود المقبلة، وتفسِّر هذه الزيادة ارتفاع حجم السكان المستمر في المدة نفسها.

عدد الولادات السنوية في العراق حتى عام (2050)[4]

السنة	الولادات
2014	1120135
2015	1126993
2016	1152571
2017	1178819
2018	1205236
2019	1231697
2020	1258028
2021	1194529
2050	1355479

الوَفَيَات (التغيُّر المحدود، والتأثير غير المباشر):

توصف بأنَّها المتغيُّر الديموغرافي الأضعف من حيث تأثيرها المباشر في السكان، أمَّا تأثيرها غير المباشر فلا يقل أهمية عن المتغيِّرات الأخرى، فالتركيب العمري، والعمر الوسيط، وأمد الحياة، وأوضاع كبار السن، ترتبط بحياة السكان، ومتطلباتها، والتهيؤ لها متعلق بالكشف عن مسار التغيُّر في الوَفَيَات في العقود المقبلة، وكسائر المتغيرات، والخصائص السكانية، فإنَّ معدَّل الوَفَيَات –ومع

4. الجهاز المركزي للإحصاء المجموعات الإحصائية، الأمم المتحدة الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014، ص 87.

اختلاف أصنافها- سيتغيَّر في العراق، ويرتبط بالوفاة وتغيرها تغيُّراً في أمد الحياة، والعمر الوسيط للسكان إنَّما هو اتجاه هذه الحالات في العراق حتى عام (2050)، وما التغيرات التي ستطرأ عليها، والتحديات الناتجة عنها، والاستجابات المطلوبة.

بلغ معدل الوَفَيَات الخام (5.4 بالألف/ سنوياً) عام (2021)، ومقارنة بالسنوات السابقة فإنَّها انخفضت عن عام (1950)، إذ كانت (27.7 بالألف)، والتي كانت مرتفعة؛ بسبب الأوضاع الصحية، والمعيشية للسكان آنذاك، وأثَّرت تأثيراً كبيراً في انخفاض معدلات النمو السكاني، والزيادة الطبيعية قبل العقد السابع من القرن العشرين، إذِ انخفض معدل الوَفَيَات فيه إلى (9.4بالألف/ سنوياً) في أقل من عشرين سنة، وأحدث حينها قفزةً في معدلات النمو السكاني في حينها مقارنة بمعدل المواليد والخصوبة المرتفع.

معدل الوَفَيَات السنوي ومؤشراتها في العراق حتى عام (2030)[5]

السنة	معدل الوَفَيَات الخام/ بالألف	معدل وَفَيَات الرضع/ بالألف
1950	27.7	73.8
1977	9.4	83.3
2000	5.1	49.4
2015	4	29
2018	5.3	28
2020	5.4	
2021	5.5	
2030	6	

واستمر معدل الوَفَيَات الخام بالانخفاض ليصل إلى (5.5 بالألف) في (2021)، وسوف يرتفع إلى (6 بالألف) في (2050)، وسيستمر بالارتفاع البطيء؛ بسبب تغيُّر الهيكل العمري للسكان، وارتفاع نسبة كبار السن، لارتفاع أمد الحياة، إذ بلغ (74.1 سنة) بعد أن كان (61.1

5. الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعات الإحصائية السنوية، الأمم المتحدة الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014، ص88.

سنة) في عام 1980، وبتغيُّر بلغ (13 سنة) للمدَّة (2020–1980)، ومن المتوقَّع أن يرتفع في العقود المقبلة، ولو بصورة بطيئة في انتقال السكان إلى طور الشيخوخة حينها.

تطوُّر العمر المتوقع عند الولادة في العراق للمدَّة (2020–1980)[6]

السنة	العمر المتوقع عند الولادة (سنة)
1980	61.1
1987	62.5
1997	58.7
2007	58.5
2017	69.6
2018	73.4
2020	70.6
2050	74

وتغير معدل الوَفيَات الرضع في الأربعة عقود الماضية بنسبة (55.3–) بالألف، وسيرتفع العمر المتوقع عند الولادة في العراق؛ نتيجة الانخفاض البطيء للخصوبة، والذي سيغيِّر حجم الأسرة نحو الانخفاض، وتحسين في مستوى المعيشة نسبياً مع زيادة احتمال دخول الأسرة، وفي الوقت نفسه تحسِّن في مجال الصحة.

شهد مؤشر توقع الحياة عند الميلاد تحسناً واضحاً في السبعينيات إذ قُدِّرَ بـ(61.2 سنة) بعد أن كان (44 سنة) في الخمسينيات[7]، وبسبب أوضاع العراق لم يستمر هذا التحسُّن فكان (62.5 سنة) في عام (1987)، وانخفض إلى (58.7 سنة) في عام (1997)، وانخفض عام (2007)

6. الجهاز المركزي للإحصاء المجموعات الإحصائية وتقارير متعددة تقديرات سكانية، الأمم المتحدة، الاسكوا، النافذة الديموغرافية فرصة للتنمية في البلدان العربية، 2005، ص66. الأمم المتحدة الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014، ص 83.

7. تحليل العوامل المؤثرة في مسارات التنمية البشرية في العراق للمدَّة (19902010) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة كربلاء، كلية الإدارة والاقتصاد، قسم الاقتصاد، ص 82.

إلى (58.5 سنة)؛ بسبب الأوضاع الاقتصادية، والصحية.

وبعد هذا التاريخ بدأ العمر المتوقع للولادة بالارتفاع النسبي ارتفاعاً بطيئاً؛ ليصل إلى (70.6 سنة) في عام (2020)، وهو أقل من العمر المتوقع في سائر الدول النامية، والبالغ (80 سنة)[8]. سوف ترتفع معدلات العمر المتوقع للسكان في العقود المقبلة –وهي قيم الاتجاه السابق– نحو الارتفاع، فبعد أن كان العمر المتوقع (62.3 سنة) في عام (1980)، ثم انخفاضه في عقد التسعينيات إلى (58.7 سنة)؛ بسبب الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، والصحية؛ نتيجة آثار الحصار الاقتصادي، وحرب الخليج الثانية. بدأ العمر المتوقع بالارتفاع، واستمر بالارتفاع ليصل إلى (69.3 سنة)، وبزيادة مقدارها (8.6 سنة) للمدَّة (1980–2020).

ومن المتوقع أن ترتفع معدلات التعمير؛ نتيجة ارتفاع معدل العمر المتوقع في عام (2050) ليتعدَّى (74 سنة)، ومقارنة مع الدول العربية يلاحظ أنَّ العراق سيكون أقل معدل للعمر المتوقع في حينها، ما عدا (اليمن، والسودان، وجيبوتي) وبفارق عن أعلى معدل للعمر المتوقع في (لبنان، وقطر) ليصل إلى (9 سنوات)[9].

سيولِّد هذا التغيُّر في أمد الحياة، وارتفاع معدل العمر المتوقع إلى ارتفاع عدد كبار السن، والهيكل العمري، وزيادة الطلب على حاجات السكان ومتطلباته المرتبطة بهذا التغيُّر من الخدمات الصحية، والضمان الاجتماعي، والإعانات، ورعاية كبار السن، ويزيد من التحديات هذه، وتغيُّر الهيكل الذي ستتعرض له الأسرة ونظامها، وضعف إمكانيات كبار السن وخصائصهم.

ويتجه سكان العراق نحو النضج؛ نتيجة لارتفاع السكان في فئة العمر المتوسط. ولا شكَّ أنَّ للتغيرات الكمية وما سيرافقها من تغيرات نوعية التي حدثت وما زالت تحدث في السكان أثراً في تغيُّر العمر الوسيط للسكان، فقد شهد ارتفاعاً، وسيستمر بالارتفاع، وهو مؤشر على مغادرة المجتمع حالة الشباب للدخول في حالة النضج، ثم الانتقال للشيخوخة؛ ويعود السبب في ذلك إلى التغيُّر في الخصوبة، والوَفَيَات، والتحوُّل في الهيكل العمري، وما يرافقه من تغيير محدود في مستويات المعيشة، فقدِ ارتفع العمر الوسيط لسكان العراق للمدَّة (1950–2020) من (22 سنة) إلى (22.2 سنة)، ويشير هذا التقدُّم البطيء إلى الانخفاض البطيء في الخصوبة السكانية إلا أنَّه سيصل إلى (27.8 سنة) في عام (2050).

8. صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي الموحد، الجداول الإحصائية 2011، ص306.
9. منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا اليونيسيف 2019 مصدر سابق، ص23

العمر الوسيط المقدَّر والمتوقَّع لمجموع السكان في البلدان العربية (1950–2050)[10]

البلد	1950	1975	2000	2010	2025	2050
الأردن	17.2	16.4	19.5	22.5	25.7	33.8
الإمارات العربية المتحدة	18.9	25.2	28.2	28.0	37.7	46.9
البحرين	18.9	19.3	26.5	30.0	34.3	45.1
تونس	19.3	17.6	24.6	29.0	35.6	43.4
الجزائر	19.4	16.6	21.6	26.0	30.5	36.3
جزر القمر	21.2	17.4	18.6	19.1	20.6	24.6
الجمهورية العربية السورية	20.3	15.9	18.8	21.9	26.4	35.3
جيبوتي	16.5	16.6	19.1	22.0	25.6	32.4
السودان	18.1	16.6	17.9	18.7	21.3	26.2
الصومال	19.5	18.2	16.4	16.1	17.4	21.3
العراق	22.0	17.0	18.3	19.1	22.2	27.8
عمان	18.8	17.1	20.8	25.1	34.2	50.8
فلسطين	17.3	14.9	16.2	18.2	22.4	29
قطر	18.9	23.2	30.3	31.6	38.5	55.8
الكويت	21.5	17.6	28.6	28.4	31.1	35.6
لبنان	23.2	19.5	26.3	28.5	36.7	48.8
ليبيا	21.0	17.0	22.2	25.6	30.7	40.6
مصر	20.4	19.3	22.0	24.4	28	34.6

10. الأمم المتحدة الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014، ص85.

البلد	1950	1975	2000	2010	2025	2050
المغرب	19.5	16.7	22.3	26.2	30.6	36.7
المملكة العربية السعودية	19.0	18.0	21.1	26.1	32.2	41.7
موريتانيا	17.9	17.0	18.4	19.5	21.4	25.7
اليمن	18.9	16.3	15.6	18.2	22.5	30.8
المنطقة العربية	19.8	17.6	20.6	23.2	27.2	33.4
العالم	23.5	21.9	26.3	28.5	32.2	36.1

سيكون العراق بحلول عام 2050 أقل البلدان من حيث العمر المتوقع في المنطقة، مع ارتفاعه، ويعود ذلك إلى أوضاعه الاقتصادية، والمعيشية التي من المتوقع أن تكون بطيئة التحسُّن حتى ذلك الوقت، إذ سيتجاوز العمر المتوقع عند الولادة في أغلب دول المنطقة (80 سنة).

لا شكَّ أنَّ للتغيرات الكمية والنوعية التي حدثت وما زالت تحدث في السكان أثراً في تغير العمر الوسيط للسكان، فقد شهد ارتفاعاً، وسيستمر بالارتفاع، وهو مؤشر على مغادرة المجتمع حالة الشباب للدخول في النضج السكاني ثم الشيخوخة بعد (2050)، ويعود ذلك إلى التغير في الخصوبة، والتحول في الهيكل العمري الناتج عنه، والتغير المحدود والنسبي لمستويات المعيشة.

ووَفْقاً للتقديرات، ومسار التغيُّر في العمر الوسيط، فقِد ارتفع العمر الوسيط لسكان العراق من (22 سنة) في عام (1950) إلى (22.2 سنة) في عام (2050). وتشير هذه المؤشرات إلى سيادة الشباب في المجتمع، إلا أنَّ مسار التغير مستمر بالارتفاع ليصل العمر الوسيط للسكان في عام (2050) (27.8 سنة)، ودخول المجتمع مرحلة النضج، وهذا يعني أنَّه في (30 عاماً) من الآن سيرتفع العمر الوسيط بما يقارب (5.6 سنة) فقط، وهو ارتفاع بطيء أيضاً يتناسب مع الانخفاض البطيء للخصوبة السكانية في المدة نفسها، واستمرار النافذة الديموغرافية لمدَّة أطول، مقارنة بمسار تغيُّر العمر الوسيط في عدد من دول المنطقة، فإنَّه التغيُّر الأبطأ في المدَّة نفسها، وسيرتفع العمر الوسيط في لبنان بمقدار (15 سنة)[11].

11. منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا اليونيسيف 2019 مصدر سابق، ص23.

التحوُّل في حجم الأسرة في العراق وتركيبه:

تشكِّل تركيبة الأسرة نمط عيش أفرادها، وتوفر بعض الدلائل على مستوى رفاههم الاجتماعي والاقتصادي، وتعكس خصائص الأسرة، وأوضاعها المجتمع السكاني؛ لأنَّها المؤسسة الأساسية في المجتمع، لذا فهي في دينامية مستمرة، وتحولات تتسع يوماً بعد آخر.

ويلاحظ أنَّ الاتجاه السائد في العراق هو التناقص المطرد في متوسط حجم الأسرة من (7.7 فرداً/عام 1997) إلى (5.7 فرداً/ أسرة عام 2021) في اتجاه يسوده الانخفاض في أكثر من عقدين من الزمن، وهو انخفاض بطيء يتبع اتجاه انخفاض الخصوبة السكانية وسرعته في المدة نفسها. إذ تقلِّل الخصوبة الآخذة بالانخفاض عدد الأطفال لكل أسرة، ولكنَّه يوصف بالمرتفع مقارنة بالدول العربية والإقليمية[12].

تغيُّر حجم الأسر في العراق[13]

السنة	متوسط حجم الأسرة/ فرد
1997	7.7
2005	6.8
2009	6.7
2011	6.4
2013	6.2
2018	6
2021	5.7

ومن التغييرات في هذا البعد هو بدء التحوُّل من الأسر الممتدة إلى الأسر النواة، حتى باتت الأكثر شيوعاً، وستتسع مستقبلاً، وفي الوقت نفسه فإنَّها ستكون أقل تعقيداً أيضاً؛ وسبب ذلك هو تغيُّر معايير اختيار الشريك بصورة فردية، وانخفاض الخصوبة، وتوفر فرص أكثر للنساء،

12. الأمم المتحدة، الاسكوا، المجتمع العربي الاتجاهات الديموغرافية والاقتصادية، بيروت 2019، ص18.
13. الجهاز المركزي للإحصاء، تقرير أحوال المعيشة جدول (22)، وجدول (4515)، المسح الاقتصادي والاجتماعي لعام 2021.

وازدياد حالات الطلاق، وتأثير جميع ذلك على الهياكل الأسرية[14]. أثَّرت عملية التغيير الديموغرافي والاجتماعي الاقتصادي التي تحدث في العراق ليس على الهياكل الأسرية فحسب، بل تؤثِّر على أنماط تكوين الحياة الأسرية، فأحدثت تغييراً كبيراً في تكوين الأسرة وهيكلها[15]، وسيكون لهذا النوع من النمو علاقة إيجابية بنمو الدولة[16]، فسيؤدِّي هذا التحوُّل إلى زيادة الاستثمار في تكوين رأس المال البشري لكل طفل، إذ إنَّ الموارد نفسها ستوزَّع على عدد أقل من الأطفال، وإلى ارتفاع نصيب الفرد من الدخل؛ نتيجة لتحسُّن نسبة منتجي القوة إلى مستهلكيها، ممَّا يسمح بزيادة الادخار والاستثمار في الأنشطة الإنتاجية، وفي الوقت نفسه سيخفِّف الضغط على الخدمات الاجتماعية مثل: (الرعاية الصحية، والتعليم)[17].

ويمثِّل هذا التغيُّر بداية العائد الديموغرافي في العراق وقاعدته، والملاحظ لأوضاع الأسر في العراق هو انخفاض دخولها، ليصل نصيب الفرد فيها إلى ما يقارب مستوى الفقر أو دونه، وتتعدَّى نسبة الأسر المصنَّفة بالفقر والهشاشة إلى (50%) من مجموع الأسر في العراق؛ ويرجع ذلك في أحد أسبابه إلى ارتفاع حجم الأسرة مقارنة بالدخول المحدودة التي تحصل عليها حتى مع زيادة عدد البالغين فيها.

إنَّ الأسر شديدة الشعور بالضغوط الناجمة عن التغييرات الاجتماعية والاقتصادية ومن الضروري منح مساعدة خاصة للأسر التي تعاني من شظف العيش، فقد ساءت الظروف لكثير من الأسر في السنوات الأخيرة؛ نتيجة للافتقار إلى وجود عمالة مربحة، وانخفاض النفقات الاجتماعية للدولة، وتراجع مستوى الخدمات، وبدأت الأسر المعرَّضة للخطر بالتزايد، وخاصة الأسر التي ترأسها امرأة، والأسر الفقيرة التي تحوي أفراداً مسنين، أو معاقين، أو أسر النازحين، أو التي يعاني بعض أفرادها من الأمراض المزمنة، وكمؤشر على ذلك فقد زادت نسبة الفقر في الثلاث سنوات الماضية لتتعدَّى (31%) عام 2021 من مجموع الأسر في العراق بعد أن كانت (21%) في عام 2014.

14. ينظر الأمم المتحدة، الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2013 ص 53.
15. الأمم المتحدة، تقرير المؤتمر الدولي للسكان القاهرة 1994، نيويورك 1995، ينظر ص 27 وما بعدها.
16. جون بونجارتس، حجم وتركيب الأسرة في العالم النامي، ص 21.
17. الأمم المتحدة، الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2013، ص 4.

من مجموع ما يقارب (6,574,000) أسرة، ويرتفع العدد في قسم منها ليتعدى (10) أفراد، وبنسبة (42.9%) من الأسر فقيرة، والأفقر من حيث الإنفاق الاستهلاكي وهذان مؤشران معتمدان لقياس مستويات المعيشة، ونوعية الحياة، والتي تظهر منخفضة، وينخفض معها مستويات الإشباع، فبالكاد تستطيع هذه الأسر سد احتياجاتها من السلع الضرورية مبتعدة عن السلع الكمالية، ويتعدى عدد هذه الأسر (3,287,000) أسرة موزعة على محافظات العراق متركزة في وسطه وجنوبه وَفْق إحصائيات الرسمية.

والملاحظ اعتماد هذه الأسر في دخلها اعتماداً أساسياً على الأجور والرواتب والتحويلات الاجتماعية كمصدر أساسي من مصادر الدخل، وبنسبة (58.1%) وتشمل العاملين في القطاع الرسمي وغير الرسمي، ويرتفع معدل البطالة فيها إلى (44.1%) في الأسر الفقيرة، و(29.1%) في الأسر الهشة، ويعني هذا انخفاض فرص الحصول على دخل إضافي لهذه الأسر، أمَّا العاملون فهم على الأغلب في القطاع غير الحكومي، ويعملون في الأعمال الهامشية، والأعمال اليومية، والتي تتميَّز بعدم الاستقرار، وانخفاض ساعات العمل اليومية أو الأسبوعية والأجور، جعلت هذه الدخول مقارنة بعدد العاملين في الأسرة وعدد أفرادها من هذه الأسر غير قادرة على تأمين الحد الأدنى من الحاجات الأساسية، وأصبح إنفاقهم مرتكزاً على المجاميع السلعية الضرورية فيلاحظ أنَّ (35.1%) من الإنفاق على المواد الغذائية، و(12.9%) على السكن والماء، والكهرباء، و(7.8%) على الصحة، أي: ما يقارب (54.8%) من الإنفاق العائلي على حاجات أساسية لا يمكن التفريط بها بأيّ صورة من الصور، مع انخفاض الدخل انخفاضاً أكبر سيتأثَّر الإنفاق، ويتعمَّق الحرمان لسائر القطاعات.

ويزداد الأمر تعقيداً لدى الفئات الهشَّة من السكان، وهم الأيتام من الأطفال، والمعاقين، والمسنين، والأرامل، والمطلقات، والنساء المعيلات لأسرهن، والمهجرين قسراً، وهم السكان الفقراء والأفقر غالباً، ويعانون من فقدان الأمن الإنساني، وتزداد معاناتهم أكثر في أوقات الأزمات، وهذا ما سنلاحظه في الأزمة التي نعيشها اليوم، وتُشير الإحصائيات الرسمية لأعداد هذه الفئات إلى أنَّها تبلغ (8%) من الأطفال بعمر (17–0) سنة، وبعدد يصل إلى (6) ملايين طفل يتيم، وما يقارب (5.2%) من السكان معاقون، وبعدد (1357063) فرد مع اختلاف نوع الإعاقة، وشدتها وما يقارب (2600000) أرملة ومطلقة، فضلاً عن النساء المعيلات لأسرهنَّ، واللاتي ترتفع نسبتهن لتصل إلى (7.7%) من الإناث.

هذه الفئات السكانية بخصائصها هي أكثر الفئات تأثُّراً، وعرضةً للخطر، ويعيشون المعاناة اليومية بصورة أعمق من غيرها، فضلاً عن الأسر الفقيرة والأفقر، والتي يتعدَّى عدد الأفراد فيها (23000000) فرد. تواجه الحكومة صعوبة في الوصول إليهم، واستهداف المستحقين منهم، وتوفير تكلفة الدعم، والتخفيف من الأزمة لهذه الأسر، وسيواجه العراق مشكلة قدرته في التخفيف من معاناة هذه الأسر، ووضع الحلول إزاء هذه التحديات، ومنها العجز عن تحديد هذه الفئات بصورة دقيقة؛ لعدم وجود قاعدة بيانات تتعلَّق بهم، وهي مشكلة تتعدَّى هذه الأزمة، إذ يفتقد العراق إلى توفير كثير من البيانات الخاصة بالسكان منذ أن توقَّف آخر تعداد عام للسكان في عام 1997، ويعتمد من حينها على المسوح، ومن هنا فعلى المدى المتوسط يجب القيام بمسح شامل للفئات الهشَّة، وإنشاء قاعدة بينات الأسرة، ومتابعة تغييراتها، ومن التحديات أيضاً إمكانية توفير تكاليف الاستجابة لهذه الأزمات ومعالجاتها على مستوى الأفراد أو المؤسسات بأنواعها، وهنا فعلى الحكومة اتباع عديد من الإجراءات على المدى القصير والمتوسط؛ للحدِّ من آثارها النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وفي حال فشلها في ذلك فستتضاعف التكاليف، وتزداد الآثار السلبية في شتى مجالات الحياة[18].

وفي قبال هذا التغيُّر في الحجم التركيبة، فإنَّ زيادة عدد الأسر في ارتفاع مستمر وبمعدلات نمو مرتفعة، ففي العشر السنوات الماضية ارتفع عدد الأسر في العراق من (4696265) أسرة في عام 2012 إلى (6865109) أسرة في عام 2021، ويعود هذا الارتفاع في أعداد الأسر إلى الزيادة السكانية، وتغيُّر الهيكل العمري، والارتفاع في حالتي الزواج والطلاق، وتغيُّر الترتيبات المعيشية، ونمط الحياة.

18. ينظر علي عبد الأمير ساجت: فايروس كورونا والفئات الهشة في العراق، الأبعاد السكانية والاستجابة الإنسانية، مقال منشور في موقع مركز سيبار للدراسات وإدارة التوقع، 2020.

تطوُّر أعداد الأسر في العراق (1997-2021)[19]

السنة	أعداد الأسر
1997	2494307
2009	4696265
2012	5083000
2018	6374000
2021	6865109

ويمثِّل هذا التغيُّر في أعداد الأسر تحدياً يتمثَّل في زيادة أعدادها مقابل ارتفاع حاجاتها المتعددة، وانخفاض قدرة الاستجابة؛ ممَّا سيضاعف من مشكلاتها ومعاناتها في المستقبل.

تغيُّر الهيكل العمري (فرص، وتحديات، وهدف واحد، وخيارات متعددة/ مسار حتمي، وطريق صعب):

يحدث التحول في الهيكل العمري مرة واحدة، ويكون محدوداً زمنيا، يمر الهيكل العمري بالعراق بتحولات كبيرة نتيجة بدء التباطؤ في النمو السكاني في العراق واتجاهه نحو الانخفاض من نهاية العقد الثامن من القرن الماضي وحتى الآن واستمرار الانخفاض إلى ما بعد عام (2050)، والناتج عن الانخفاض في معدل الخصوبة، وتغيُّر معدلات نمو الفئات السكانية الثلاث، وتستمر حينها الكتلة السكان في العمل بالتوسع بسرعة، ويتزايد عددها.

يشهد العراق تحولات ملحوظة في الهيكل العمري للسكان سيكون لها آثار كبيرة على أوضاع سكانه في المديينِ القريب والبعيد، هذا التغير الديموغرافي في كل مجتمع إلا أنَّ طبيعته وسرعته تختلف، فالعراق مشرف على تحوُّل ديموغرافي سيبلغ ذروته في أقل من (30 سنة)، ومن المتوقَّع أن ترتفع فيه نسبة السكان في سن العمل إلى (60%) مع حلول عام (2050)، في حين تنخفض نسبة صغار السن، وترتفع في الوقت نفسه نسبة كبار السن.

19. نتائج التعداد لعام 1997 ما عدا إقليم كردستان، نتائج الحصر والترقيم لعام 2009 مسح رصد الفقر وتقويمه في العراق لعام 2018، تقديرات من عمل الباحث لعام 2021.

(تغيُّر هيكل التركيب العمري لسكان العراق، النافذة الديموغرافية: «تضخُّم الشباب، وضغط سوق العمل، ومستقبل الشيخوخة»)

تغييرات قد تكون غير منظورة لكثيرين، ولكنَّها تحدث الآن في بنية المجتمع السكاني، ولها تأثيراتها المباشرة، وغير المباشرة في حياتنا، وأبعاده الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، ويُعدُّ هذا التغيير الناتج عن تغيُّر الخصوبة بالذات الأكثر قلقاً، ومتابعة للمختصين والمخططين، ويلاحظ في العراق أنَّ تطوُّر حجم السكان وَفْق الفئات العمرية للمدَّة (1997-2025) في إطار هذا التغيير فيتباين حجم السكان في كل فئة سنوياً، وعلى مستوى الفئات العمرية الثلاث، واختلاف معدل النمو، والزيادة السنوية في كلٍّ منها، كما تختلف نسبة كل فئة من مجموع السكان، ويلاحظ تغيُّر نسب هذه الفئات تدريجياً، فبعد أن كانت الفئة العمرية للسكان (0-14) تمثِّل (44.2%) من سكان العراق لعام (1997)، فإنَّه بدأت بالانخفاض لتصل إلى (42.4%) في عام (2007)، و(39.8%) لعام (2012) وصولاً إلى (36.7%) عام (2025)، و (26%) للعام (2041)، ويعود هذا الانخفاض في نسبة هذه الفئة من السكان إلى تغيُّر مسار الخصوبة واتجاهه نحو الانخفاض التدريجي، وانخفاض معدل نمو هذه الفئة كما يلاحظ في الجدول في أدناه، إذ بلغ المعدل ضمن المدة الأولى (1997-2007) (2.7%)، وانخفض إلى (1.7%) في (2005) مقابل ارتفاع في نسبة السكان للفئة العمرية (15-64 عاماً)، وهي فئة السكان في سن العمل، ويلاحظ من جدول الارتفاع التدريجي لهذه النسبة لتصل إلى (59.7%) من السكان لعام (2025) بعد أن كانت (52.4%) عام (1997)، وبمعدل نمو مرتفع عن معدل نمو الفئة السابقة بلغ (3.3%) للمدَّة (1997-2007)، و (4%) (2007-2012) ليصل إلى (2.5%) عام (2025)، وذلك الارتفاع في معدل النمو ناتج عن عملية انتقال السكان في الفئة العمرية الدنيا إلى هذه الفئة، وتراكم عملية الدخول تراكماً مستمراً.

جدول تغيُّر نسبة الفئات العمرية لسكان العراق للمدَّة 1950–2050 [20]

الفئة العمرية السنة	0– 14 سنة%	15–64 سنة%	أكثر من 64 سنة%
1950	37.4	59.8	2.8
1997	44.2	52.9	2.7
2010	41.2	55.4	2.4
2015	38.8	58.1	3.1
2025	36.7	59.7	3.6
2050	28.2	64.6	7.2

ومِمَّا سبق يظهر أنَّ أبرز التغيرات التي طرأت وستطرأ على الهيكل العمري للسكان في العراق هو تحوُّله من مجتمع فتي إلى مجتمع ناضج، تصل نسبة كبار السن فيه (7.2%) عام 2050، ويتوقع أن يتحوَّل إلى الشيخوخة بعد ذلك الوقت، ويلاحظ من الشكل الهرم السكاني وتقلُّص قاعدته العريضة، وهو تحوُّل حتمي سيحمل كثيراً من المخاطر والتهديدات.

20. الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعات الإحصائية، تقارير متعددة، مؤشرات إحصائية وتقديرات، الأمم المتحدة الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014، ص86.

شكل الهرم السكاني وتحولاته في العراق[21]

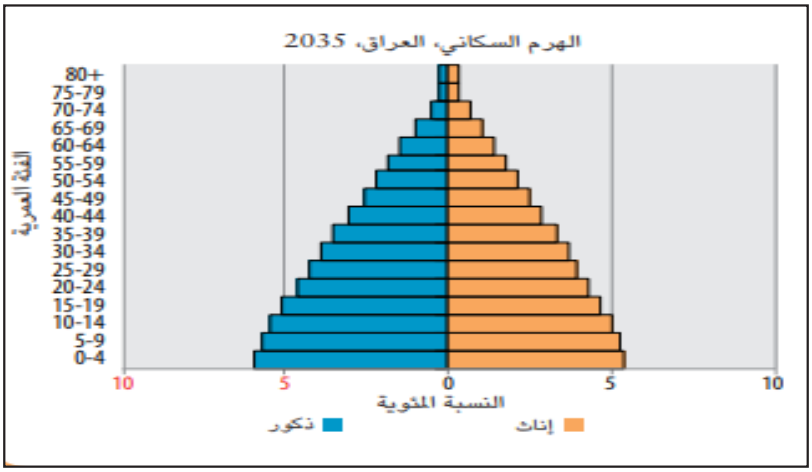

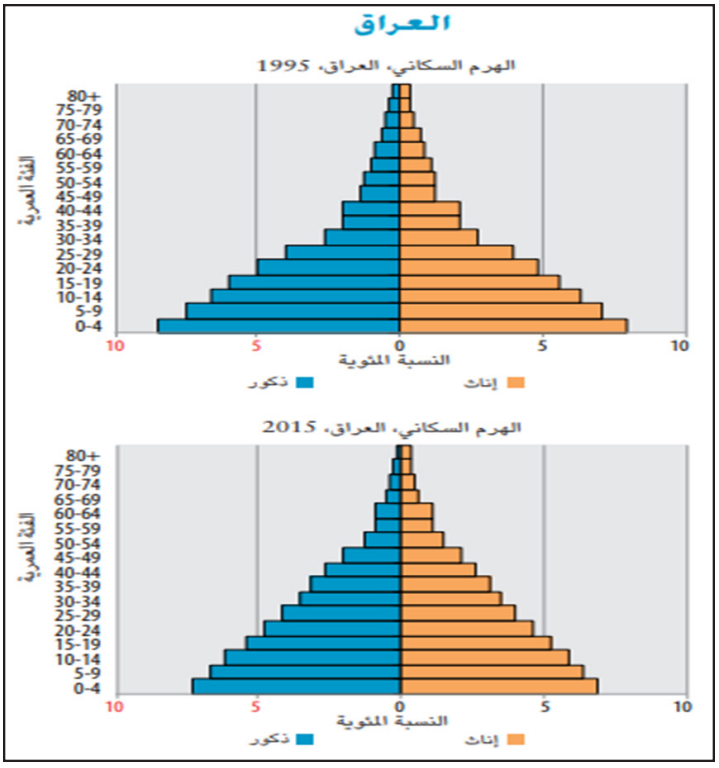

21. آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014.

تطور أعداد السكان وَفْق الفئات العمرية والانتقال الديموغرافي من الفتوة إلى النضج[22]

الفئة العمرية السنة	0–14 سنة	15–64 سنة	أكثر من 64 سنة
1997	9744440	11552232	749572
2000	10648000	12621000	817000
2015	14333435	20321000	111000
2025	17417178	28252735	1686823
2030	17564500	31590000	1907000
2050	15894000	50088000	5018000

وستكون آثارها كبيرة على أوضاع سكانه في المديينِ القريب والبعيد، فعدد السكان في سن العمل (15–64 سنة) يتزايد مع معدل النمو بوتيرة أسرع من وتيرة زيادة فئة صغار السن (أقل من 15 سنة)، وفئة كبار السن (65 وأكثر)، وسيؤدِّي هذا التزايد إلى انخفاض نسب الإعالة العمرية، وجميع ذلك هو نتيجة للتراجع الملحوظ في معدلات الخصوبة، والوَفَيَات، وسينتج عنه في المدن القريبة تضخُّماً للشباب.

وممَّا سبق فإنَّ هذه التوقعات سيتجاوز معدل نمو الفئة (15–64 سنة) –وهي فئة السكان النشطين اقتصادياً فئة السكان– أقل من (15 سنة) وأكثر من (64 سنة)، والوصول إلى نسبة (60–65%) من السكان، وطبقاً لتعريف الأمم المتحدة للهِبَة الديموغرافية فسيتيح للعراق الدخول في النافذة الديموغرافية بحلول عام (2030–2035)، مع أنَّ هناك بوادر أولية للانتقال، إلا أنَّه لن يتحقق قبل هذه المدة.

22. الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعات الإحصائية، تقارير متعددة، مؤشرات إحصائية وتقديرات، الأمم المتحدة الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014، ص86، ينظر أيضاً علي عبد الأمير ساجت: تغير الهيكل العمري لسكان العراق وعلاقته بالنافذة الديموغرافية وإمكانية استثمارها، مجلة كلية التربية للبنات، وينظر أيضا اليونيسف منطقة شرق آسيا وشمال إفريقيا 2030، إصدار 2019.

وتشير التوقعات إلى ارتفاع نسبة هذه الفئة لتصل إلى (62%) عام (2031)، و (64%) عام (2041)، و (64%) في عام (2050)، ويلاحظ انخفاض معدل نمو السكان صغار السن وبصورة بطيئة جداً للمدَّة (2012-2025)، وسينعكس على استمرار النافذة لجيلينِ، وليس جيلاً واحداً كما في سائر الدول. يغذِّي هذا النمو الفئة الوسطى للسكان، إذ يرتفع معدل نموها إلى (4%)، ويبدأ بالانخفاض التدريجي؛ نتيجة انخفاض معدل نمو السكان صغار السن، والأمر مختلف للسكان كبار السن، إذ سيرتفع نمو هذه الفئة، ويستمر بالارتفاع؛ لارتفاع نسبة الفئة العمرية الوسطى للسكان، وارتفاع أمد الحياة أيضاً. ويستمر معدل نموها بالارتفاع ليتجاوز معدل نمو الفئتين الأخيرتين في السنوات المقبلة؛ لتصل إلى أعلى معدل لها (4%) لعام (2025)؛ وذلك نتيجة لدخول السكان في فئة (15-64 عاماً) إلى هذه الفئة بوتيرة أعلى ومن المتوقَّع أن يبلغ حجم كبار السن في العراق (1.686.823 نسمة) عام (2025) ويرتفع إلى (5.7 مليون نسمة) عام (2050)، وبنسبة (6.8%) من السكان، بعد أن بلغت (989.698) نسمة حالياً[23].

وهذا الانخفاض نتيجة لتغيُّر ديموغرافي، وسينعكس على دخل الفرد والأسرة وقدرتهما على الادخار، وعلى طلب السلع، والخدمات، ونوعية التعليم، والصحة، والاستثمار، وبعبارة أخرى فإنَّ هذا الانخفاض في نسبة الإعالة سيخفِّف العبء، ممَّا سيتيح المجال أمام استثمارات إضافية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ويمكن ملاحظة أهميتها في إحداث تغيير في العراق يشبه ما أحدثته في هذه الدول، ويمكن أبرز آثارها في الآتي:

1. ساهمت في تخفيض مستوى الفقر في هذه البلدان بعد أن أدركت أنَّه لا يمكن التعويل على تلقائية النمو الاقتصادي في القضاء على الفقر، وكان هذا بفعل التأثير المتعادل بين المتغيرات الديموغرافية والاقتصادية، وانخفاض نسبة الإعالة، وارتفاع معدل دخل الفرد، إذِ انخفضت نسبة السكان الذين يعيشون بأقل من دولار واحد في اليوم في هذه البلدان في المدَّة (1987-1998) بمعدل (37%)[24].

2. تغيُّر نسبة المشتغلين إلى المعالين ودوره في رفع متوسط نصيب الفرد من الدخل كان له الدور في تحسن نوعية نظم التعليم، وبصورة مرنة؛ ممَّا ساهم في زيادة إنتاج هذه البلدان.

3. ساهم التغيير الهيكلي للسكان في زيادة النمو الاقتصادي، ودفع نمو إجمالي الناتج المحلي

23. أحمد قطيطات الهبة الديموغرافية في الوطن العربي المؤتمر الإحصائي العربي الأول عمان الأردن 2007 ص406.
24. أحمد قطيطات مصدر سابق ص 410.

حجم السكان نحو الانخفاض ورفع الادخار ليصل إلى (50-70%)[25].

4. عمل ارتفاع الدخل القومي على تحفيز خفض معدلات الخصوبة وتغيُّر أنماطها؛ بسبب اتساع القطاع الصناعي، واستيعابه للسكان في سن العمل؛ إلا أنَّ هذا التغيُّر الديموغرافي لم يكن نتيجة النمو الاقتصادي بقدر ما كان سبباً في زيادة تراكم رأس المال عن طريق نمو السكان في سن العمل، وانخفاض نسبة المعالين.

5. زيادة تراكم رأس المال عن طريق نمو السكان في سن العمل وانخفاض نسبة المعالين[26].

6. انخفاض عبء الإعالة، وانخفاض الاستهلاك على حساب الادخار.

وتُشيرُ الدراسات إلى دور هذه الهِبَة الديموغرافية في نمو اقتصاد دول جنوب شرق آسيا عبر قياسها بعدد من الإجراءات في المؤسسات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وكذلك مجموعة من السياسات العامة رافقت التحول الديموغرافي؛ لكي تتمكَّن من استثمار هذا التغيير فلولا إجراء هذه الدول تغييراً يتفاعل مع تغيُّر البنية العمرية للسكان لما حصدت نتائجها.

كما يُشير عدد آخر من الدراسات إلى أنَّ التغييرات السكانية المتمثلة بارتفاع معدل نمو السكان في سن العمل ساهمت بمقدار (40%) في النمو الاقتصادي لبلدان جنوب شرق آسيا بين عامي (1970-1990)، ويكون نمو الاقتصاد بطيء حينما يكون نمو السكان في سن العمل منخفضاً عن نمو إجمالي السكان، ويتحسَّن النمو الاقتصادي حينما يتعدَّى نمو السكان في سن العمل نمو إجمالي السكان. أصبح أثر التحوُّل السكاني في النمو والتنمية في هذه الدول نموذجاً عالمياً لا يمكن نكرانه أو تجاهله.

السؤال المهم: هل يستطيع العراق استثمار هذه الهِبَة الديموغرافية؟ إنَّ الجواب على هذا السؤال يعتمد على اتخاذ العراق للخطوات اللازمة لذلك، والإفادة من تجارب الدول التي سبقته في هذا المجال.

يتميَّز العراق بحجم سكاني كبير، ومعدلات دخول منخفضة، وفي الوقت نفسه يمتلك المؤهلات الأساسية للنهوض الاقتصادي في حالة ربط السكان بالتنمية والنمو الاقتصادي. فالهِبَة

25. تقرير السكان والتنمية العدد الثاني النافذة الديموغرافية فرصة للتنمية في البلدان العربية اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا الأمم المتحدة نيويورك 2005 ص 36

26. المصدر نفسه

الديموغرافية مشروع تنموي ذو أبعاد متعددة، وأهم ما يجب القيام به هو تحويل هذا الارتفاع في حجم السكان، ولا سيَّما الفئة الوسطى إلى هِبَة ونافذة وفرصة ديموغرافية، ويرتبط هذا بقدرة العراق على زيادة نسبة المشاركة في النشاط الاقتصادي عبر استيعاب سوق العمل للطلب المتزايد، مع ملاحظة ارتفاع معدلات البطالة في العراق اليوم لتصل إلى (15%).

يواجه اقتصاد العراق اليوم تحديات هيكلية تحدُّ من نموه السريع مرتبطة بهيمنة النفط، وارتفاع تكلفة إدارة دولة الرفاه المبنية على توزيع الريوع النفطية، وتكفل الحكومة بتوظيف المواطنين في القطاع الحكومي، وتوفير الخدمات بتكاليف رمزية؛ ممَّا أدَّى إلى تضخُّم القطاع العام، وعزوف الناس عن العمل في القطاع الخاص، وإلى الآن يمكن القول إنَّ العراق لم يفلح في مواكبة نمو القوى العاملة مع معدل النمو الحالي، مع ارتفاع المعدلات إلى إضعاف في السنوات المقبلة.

التحدي الأكبر في التهيئة لاستثمار هذه الهِبَة هو التحدي السياسي، والذي يؤثِّر في بيئة رأس المال والاستثمار، والأخير هو الوحيد القادر على تلبية سوق العمل، وعرض فرص العمل بعيداً عن القطاع العام المتخم، وانعكاسات هذه العملية على تحسين نوعية الحياة.

يُشير بعضهم إلى أنَّ الهِبَة الديموغرافية تمثِّل الزخم، أو الإمكان لمكاسب إيجابية في النمو الاقتصادي، لكنَّها ليست ضمانة له، وأنَّ التغيُّرات الديموغرافية لن تؤدِّي إلى معدلات ملحوظة للنمو الاقتصادي تحدث تلقائياً، إذ يمرس العامل الديموغرافي دوره عن طريق تغيير التركيب العمري.

سيواجه العراق تحدياً كبيراً يزداد خطورة مع الابتعاد عن بداية دخوله للنافذة الديموغرافية وهو عام (2025) تقريباً، ويتمثَّل هذا التحدي في زيادة الطلب على العمل نتيجة؛ لارتفاع نسبة السكان في سن العمل، وارتفاع معدلات نمو هذه الفئة بنسب أكبر من معدلات نمو الفئات الأخرى ستستمر هذه الزيادة بالتراكم في حالة عدم تلبيتها، إذ يتوقع أن يزداد إجمالي عدد القوى العاملة في العراق من (19579918) عام (2012) إلى (28252735) عام (2025)، ويجب على العراق استيعاب الداخلين إلى سوق العمل بعيداً عن القطاع العام المسيطر حالياً.

لذا فإنَّ مستقبل الحياة الاقتصادية، والنمو الاقتصادي، وآثاره الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والديموغرافية، إذ يرتبط بقدرة العراق على تطوير سوق العمل فيه كما أشرنا. وحتى يتوافق الطلب على العمل مع العرض على العراق أن يعمل على تحسين نوعية التعليم، وأن يؤمن التدريب المكثف في العمل، إذ تُشير آخر المسوح في العراق اليوم إلى أنَّ ما يقارب (84%) من

سكان العراق من دون التعليم للشهادة المتوسطة، وهذا تحدٍّ في قبال فرص عمل يجب أن توفر لهم بما يتناسب مع مؤهلاتهم، وشهاداتهم، ومهاراتهم.

على العراق تطوير الأسواق المالية والسياسات الكلية والضريبية التي تعطي أولوية للقطاع الخاص وتضمن إبرام العقود في بيئة مؤسساتية سلمية، فما زال الاستثمار في العراق ضعيفاً، مع وجود سبل النجاح والتطور؛ لذا يجب أن تحل المشكلات التي تعرقل الاستثمار؛ لأنَّه الوحيد القادر على امتصاص الطلب على العمل كما ذكرنا، وسينعكس أيضاً على نتائج ديموغرافية مستقبلية.

لا يؤثِّر انفتاح النافذة الديموغرافية في التنمية ما لم تتبع سياسات مؤسسية تحقِّق التكامل بين جانب العرض –الذي يقدمه انفتاح النافذة– وبين جانب الطلب –الذي يفترض أن تمثله حيوية الأسواق والنمو الاقتصادي–.

فهي فرصة لن تتكرَّر، وستكون محدودة زمنياً لا تتاح إلا مرة واحدة على مدى (25–30 عاماً)، وفي العراق ستستمر أكثر من ذلك، ثم ما تلبث أن تتبدَّد حين تبدأ معدلات الإعالة بالارتفاع مرة أخرى، إذ تنتقل الفئات العمرية التي شكلت القوى البشرية إلى (المسنين) من السكان من دون أن يحلَّ محلها عدد مساوٍ، ممَّا يؤدِّي إلى النتائج الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الكهلة من ضغوط على أنظمة الضمان الصحي، والخدمات الصحية، وانكماش نسبة السكان في سن العمل[27].

وتوصي تقارير الأمم المتحدة لاستثمار هذه النافذة؛ لتوسعة سوق العمل على تكثيف قوة العمل بدلاً من تكثيف رأس المال، عبر الصناعات الصغيرة كثيفة العمل، وقليلة رأس المال؛ للإفادة من التحوُّل الديموغرافي، وكذلك على ضوء تجارب عملية في عدد من بلدان شرق آسيا؛ لأهمية تأمين الدعم السياسي بوصفه أنَّ الهِبَة الديموغرافية مشروع تنموي يساعد في القضاء على الفقر، بما يعكس الأهمية القصوى للسكان ودورهم الفعال[28].

يعاني العراق من تضاعف معدلات البطالة، وسيطرة القطاع العام على سوق العمل، وكذلك بطء في خلق فرص العمل؛ نتيجة لاختلال سوق العمل، ومشكلات السكان من الفقر، والجوع، والأمية، والنمو السكاني، ويجب على العراق التهيئة للتحوُّل الديموغرافي المتمثِّل في ارتفاع نسبة

27. ميثاء سالم الشامسي السياسات السكانية والتحول الديموغرافي في الوطن العربي، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا وصندوق الأمم المتحدة للسكان وجامعة الدول العربية 2004 ص 11.

28. الجهاز المركزي للإحصاء حالة سكان العراق 2010 اللجنة الوطنية للسياسات السكانية في العراق 2011 ص 27.

السكان في سن العمل، إذ يتضاعف الطلب على العمل من الآن حتى عام (2050)، ويتعيَّن على أسواق العمل التأقلُم مع هذه الأعداد المتزايدة من طالبي العمل لأول مرة، فضلاً عن العاطلين عن العمل والباحثين عنه.

لذا يجب أن نعمل على التوظيف الأمثل لفرصة الهِبَة الديموغرافية، والاستعداد لظاهرة الهِبَة؛ لأنَّنا ضمن نطاق دخولها، ومن أهم الإجراءات المرتبطة بالتغيير المتمثل بعملية التحول الديموغرافي هي السياسات الاقتصادية المواكبة لها، ومن سياسات تعظيم الإفادة من النافذة الديموغرافية خلق فرص العمل، والتشغيل لاستيعاب العمالة المتزايدة ومنها معالجة قضية الأمية المنتشرة.

ينبغي على العراق كخطوة في خلق الفرص إعادة بناء الصناعات الصغيرة والمتوسطة؛ لدورها في إحداث التنمية في عدد كبير من الدول. تمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة بصورة أكثر فعالية ممَّا يجري في العراق اليوم. والوصول إلى مبدأ الحكم السليم لما له من انعكاسات على النشاط الاقتصادي، وما يرافقه من سوق العمل، فيجب على الدولة أن توفِّر البيئة الملائمة على المستوى السياسي والقانوني للقطاع الخاص، والذي بدوره يولِّد الدخل، ويخلق فرصة العمل، ومنها تشجيع المشروعات الإنتاجية كثيفة العمالة، ومضاعفة نسبة الادخار المحلي، وتعزيز قدرة المؤسسات المالية على تعبئة المدخرات واستثمارها، وتعزيز المناخ الاستثماري، ومن ضرورات ذلك جودة المؤسسات، ومرونة في الإجراءات، وفي إدارة التنمية، واستثمار القطاع الزراعي عبر سلسلة من الإجراءات؛ منها استصلاح الأراضي الصحراوية، وكذلك سياسات دعم الأنشطة ذات الميزة التنافسية.

كما يجب على العراق أن يتهيأ لما سيواجه مستقبلاً من ارتفاع نسبة السكان كبار السن وستصل نسبتهم إلى (6.8%) عام (2025)، وبحجم (5.7 مليون نسمة) تقريباً، إذِ التعمير سيبلغ ذروته؛ لذا يجب أن يخطَّط لما بعد انتهاء هذه الهِبَة، وتحوُّل هذه النسب الكبيرة من سكان للفئة (15-64) إلى كبار السن، وعليه يجب أن يطوَّر برامج الضمان الاجتماعي ذات الأرباح المستدامة، وليس الضمان الاجتماعي الفاقد لهذه الأرباح.

وممَّا سبق فإنَّ تغييراً ديموغرافياً سيخلف تغييرات كمية ونوعية في السكان، وعلى الحكومات أن تتهيأ لاستثماره عبر اتخاذها مجموعة من التدابير، والخُطُوات التي ستسهم في خلق نمو اقتصادي سريع وواسع؛ يحرِّر البلد من معظم مشكلاته السكانية والاقتصادية وعلى العكس من ذلك في حال عدم استثمارها فإنَّها ستتحوَّل إلى نقمة تُدْخِل البلد في دوامة من المشكلات السكانية والاقتصادية، بل حتى السياسية والاجتماعية على المدى الطويل، ليس أمامنا إلا أن نعمل على الخيار الأول،

وهذا مرهون أولاً وأخيراً بالسياسات التي ستتبعها الحكومة تجاه هذا التغيير.

بعد تباطئ النمو السكاني في العراق واتجاهه نحو الانخفاض من (3.4) عام (1970) إلى (3.1%) عام (1980)، و (2.4%) عام (2021) ثم (1.3%) في عام (2050) سيستمر السكان بالتحول نحو الفئة الوسطى (الكتلة العمالية)، والتوسُّع بسرعة، ويزداد حجمهم ليصل إلى التضخُّم على حساب حجم السكان صغار السن، وسينتقل الضغط على الحكومة نحو إيجاد فرص العمل للبالغين من الشباب في محاولة لاستثمار العائد الديموغرافي، ويضعهم أمام تحدٍّ قد تكون عواقب الفشل أمامه وخيمة، تتمثَّل بالعنف والحروب، والصراعات البنيوية، وعدم الاستقرار، وغيرها.

العائد الديموغرافي في العراق (الفرص الضائعة):

سيولِّد هذا التغير في الهيكل العمري إمكانية الحصول على (العائد الديموغرافي) وتكون مرهونة باستيعاب الطلب المتزايد على العمل مما ينتج عنها زيادة في الأرباح والادخار وتغيرات نوعية في السكان وفرصة الحصول عليها محدودة زمنيا حتى تحول العدد الأكبر من السكان في سن العمل إلى شريحة كبار السن.

ستكون الفترة التي يمكن استثمار العائد الديموغرافي فيها في العراق أطول من غيرها، وتستمر إلى ما بعد (2050)، لذا يجب عليها مواجهة تحدي توفير فرص العمل للحصول على تلك العوائد الديموغرافية المتعددة الأبعاد، والمتعدية لأجيال. وفي الوقت نفسه يجب التهيئة للتغييرات الهيكلية العمرية التي ستحدث في فئة كبار السن، إذ سيبلغ حجمها في عام (2050) (7.2%) من السكان بعد أن كانت (3.3%) في عام (2020).

إنَّ أيَّ عائدٍ ديموغرافي هو عنصر للنمو الاقتصادي الذي يمكن أن يعزى إلى التغيرات في التركيب الديموغرافي لأي كثافة سكانية[29]، ومن الشروط المتبعة التي يحتاجها أي اقتصاد لتحقيق أي عائد ديموغرافي هو الدخول في مدَّة من التحوُّل الديموغرافي ستؤدِّي إلى أن يكون هناك عدد أقل من السكان ممَّن يحتاجون إلى الإعالة، وتوظيف الربح الديموغرافي في معدلات ادخار أعلى، واستثمارات أكبر في البنى الأساسية المادية، وفي رأس المال البشري من الشباب، ويمكن أن يؤدِّي الارتفاع في معدلات الاستثمار وبدوره إلى تكثيف رأس المال ونمو الإنتاجية ويقدِّم الربح الديموغرافي

29. الأمم المتحدة اليونيسيف منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا 2030 إصدار 2019 ص 11.

زيادة في مشاركة النساء في العمل[30]، ووَفْق تجارب البلدان فإنَّ هذه التغييرات الديموغرافية أحدثت بما يتراوح ثلث نمو الدخل الفردي في فترة النمو السريع للقوى العاملة[31]* في بلدانهم، وهذا بدوره يتيح للدولة نافذة فرصة لتحقيق النمو الاقتصادي السريع المشروط، ولن يتحقق ذلك إلا إذا أمكن خلق العمل الكافي لصالح العدد المتزايد من العمال بين السكان، فهنالك تحدي إيجاد الوظائف لائقة كافية لمواجهة الزيادة الهائلة في عدد الشباب الوافدين إلى سوق العمل[32]، فهو ربح غير مضمون، ويعتمد اعتماداً أساسياً على قدرة العراق على تهيئة القدر الكافي من رأس المال لاستخدام النسبة، والعدد المتزايد من العمال المحتملين استخداماً منتجاً.

العوائد الديموغرافية (نوافذ الفرص المؤكدة، والاستجابات المحدودة)

يُصنَّف العراق اليوم في مرحلة ما قبل العائد الديموغرافي كمرحلة ديموغرافية يكون فيها زيادة سريعة في كل من حجم القوى العاملة، ومعدلات البطالة، والتي ستتزامن مع التحوُّل لنمو التعليم النوعي، وتوقُّع المهارات سريعة التغيير التي يتطلبها سوق العمل[33]، وصُنِّفَ العراق ضمن هذه المرحلة قبل ست سنوات من الآن، إلا أنَّه بدأ فعلاً بدخول مرحلة العائد الديموغرافي؛ نتيجة انخفاض معدل الخصوبة أقل من أربع ولادات لكل امرأة، وما زال يسير نحو معدلات خصوبة أقل انخفاضاً ممَّا يجعله يشهد معدل إعالة أطفال أقل، ونسبة أعلى من عدد السكان في سن العمل، كما وُضِّحَ فيما سبق.

وتمثِّل النسبة المتناقصة للفئات السكانية الأصغر سناً مقترنة بتزايد عدد الفئات الشابة فرصة تاريخية للاستثمار في رأس المال البشري عن طريق تحسين مستوى الوصول إلى التعليم، والصحة، والحماية، وتعزيز فرص التوظيف المنتج، وهي صورة من صور تأثير المتغيرات الكمية بالمتغيرات النوعية للسكان، فمع بداية التغير في اتجاه المتغيرات الكمية السكانية في العراق، ومع النجاح في استثمار هذا العائد الديموغرافي الناتج عن اتجاه التغيُّر الديموغرافي، سيتغيَّر السلوك الاستهلاكي على المستويين الجزئي والكلي[34]، فعلى المستوى الجزئي سيؤدِّي انخفاض معدلات الخصوبة، وانخفاض

30. الاجتماع الإقليمي الآسيوي الرابع عشر، تحقيق العمل اللائق في آسيا، 2006 ص 19.

31.* استطاعت بلدان عديدة ضمان الربح الديموغرافي مثل: (كوريا، وسنغافورة، وتايلند بتحقيق نمو سريع في الاستثمار، والإنتاجية، والصحة، والتعليم، والعمالة، المصدر نفسه.

32. المصدر نفسه.

33. منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا 2030 مصدر سابق ص 87.

34. الأمم المتحدة الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014 ص 4.

نسب الوَفَيَات الرضع إلى انخفاض عدد الأطفال في الأسرة الواحدة، مع ارتفاع احتمالات بقاء هؤلاء الأطفال على قيد الحياة، وارتفاع قدرة الأسرة على تأمين نوعية حياة أفضل لهم، وسيؤدِّي هذا التحوُّل إلى زيادة الاستثمار في تكوين رأس المال البشري لكل طفل، إذ إنَّ الموارد نفسها ستوزَّع على عدد أقل من الأطفال، وإلى ارتفاع نصيب الفرد من الدخل؛ لتحسُّن نسبة منتجي الثروة إلى مستهلكيها، أمَّا على المستوى الكلي فإنَّ هذه الاتجاهات مجتمعة ستؤدِّي إلى زيادة المصادر المحلية لرأس المال، وتخفيف الضغط على الخدمات الاجتماعية، مثل: الرعاية، والصحة، والتعليم.

فالعلاقة عكسية بين معدلات الإعالة والعائد الديموغرافي والتي انخفضت وستنخفض أكثر في العراق، إذ بدأت هذه المعدلات تنخفض من (91%) عام (1997) إلى (72%) في (2015)، وستستمر بالانخفاض لتصل إلى (67%) في عام (2025)، كما أنَّ انخفاضاً ملحوظاً في وَفَيَات الأطفال الرضع وصغار السن بدأ في العراق وما زال مستمراً بالانخفاض، وجاء ذلك كله نتيجة انخفاض حجم الأسرة من (7.7 فرداً/ أسرة) عام 1997 إلى (5.7 فرداً/ أسرة) عام 2021.

وممَّا يزيد من قيم العائد الديموغرافي أنَّه يتعدَّى هذه التغيرات إلى تأثيرها في مشاركة المرأة في العمل، وتحسُّن مؤشرات النوع الاجتماعي تحسُّناً أوسع، وستكون نافذة أيضاً لتحسين حياة النساء، وتخفيف من مشكلاتهنَّ، ويساعد في ضمان حياة كريمة لهنَّ ولأسرهنَّ كما أنَّها جزء من معالجات لمشكلات السكان ككل، وتترابط مع سائر السياسات، ولا بدَّ من التدخُّل في ربط هذه التغييرات الكمية بإجراءات تستهدف تغييرات نوعية للسكان؛ لضمان استثمار هذا العائد، وجني ثماره، والذي سينعكس بالضرورة في تحسين رأس المال البشري، وأبعاده التي ذُكِرَت.

وسيتيح هذا الاستثمار إمكانية أن يصبحوا عناصر تغيير لمستقبل أكثر ازدهاراً عن طريق دور السكان أنفسهم في تحقيق التنمية، ولكي يتسنَّى هذا يجب النظر إليهم على أنَّهم موردٌ للحلول الممكنة[35]، والتركيز في الوقت الحاضر على تزويد السكان الشباب –خصوصاً– بالمهارات التي يحتاجونها؛ لضمان انتقالهم من مرحلة المدرسة إلى العمل بصورة فاعلة، واستحداث الوظائف.

35. مبادرة (لا لضياع جيل) وشركاؤها ندوة الأدلة المتعلقة باليافعين والشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، نقلًا عن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا جيل 2030 مصدر سابق ص70.

والسؤال المهم ماذا سيحدث إذا لم ينجح العراق في توظيف نتائج العائد الديموغرافي واستثماره، والذي يحدث لمرة واحدة وبزمن محدود؟

تتصف سوق العمل في العراق –في قِبَال ذلك– بارتفاع معدلات البطالة، ولا سيَّما بين الشباب، ويتعدَّى توسُّع القطاع غير النظامي (60%) من قطاع العمل، وتدني الإنتاجية، وانخفاض الأجور، وخصائص طالبي العمل المتدنية، وضعف كفاءته التعليمية، وقدراتهم، ومهاراتهم.

لم يؤدِّ القطاع الخاص دوراً في تحفيز النمو، والتي أضعفته السياسات الاستثمارية غير الفعالة، والبيروقراطية الإداري، وهيمنة القطاع العام في مجالات عديدة، وتوسُّع الوظائف في القطاع غير النظامي ذات المهارات اليسيرة، وذات الحماية المتدنية.

وفي إطار استحالة استيعاب القطاع العام للطلب المتزايد والسريع على العمل؛ فإنَّ هذا الخيار أصبح غير معروضٍ للتعامل مع تحوُّل الهيكل العمري للسكان، واستثمار العائد الديموغرافي، ولا تتسع هذه الدراسة لبيان التفاصيل الإجرائية تجاه هذه التحديات الحتمية أو غير الحتمية، وذلك وَفْق الاستجابات الفعالة، وغير الفعالة تجاهها، والمطلوب الآن صياغة سياسات في مجالات عديدة، وبصورة مترابطة، منها:

1. سياسات التحضير لعملية التحوُّل الهيكلي العمري.
2. سياسات التوسُّع في سوق العمل، وزيادة مرونتها، وتحسين بيئتها تحت مظلة سياسات التشغيل الوطنية.
3. سياسات لتقرير الحماية الاجتماعية، والتحضير لمرحلة ما بعد العائد الديموغرافي.

ومن المتطلبات الحالية لتحقيق المكاسب التنموية لهذه التغيرات الديموغرافية رصد حركة هذه التغيُّرات، ومتابعتها، وإدماجها في الإستراتيجيات، والخطط، والبرامج التنموية.

إلا أنَّ قراءة للوضع في العراق يُعدُّ أكبر معرقلاً لجميع هذه المتطلبات هو تأمين الدعم السياسي لاستثمار العائد الديموغرافي، وعدَّه مشروعاً تنموياً يعكس الأهمية القصوى للسكان، وتأمين أكبر قدراً من الاستخدام لقناعتنا باستحالة الوصول إلى الاستخدام الكامل، ويتطلب ذلك تحسين المتغيرات النوعية المتمثلة بالتعليم والمهارات، ويجب أن ينظر إلى السكان كهدف للإنتاج ووسيلته في آن واحد.

ومن المعالجات في هذا المجال تعزيز مكانة الناتج المحلي الإجمالي في قطاع الصناعة عن طريق زيادة الصادرات وعوائدها المادية والتقنية، والتوجُّه نحو قطاع الإسكان المعتمد على يد عاملة كثيفة بدلاً من التكنولوجيا، وهذا يمكن أن يحقِّق نمواً للتشغيل يفوق (4.3%) سنوياً، ونمواً اقتصادياً يفوق (6%)، ويجب أن تعرض –الآن– وضع قضية العمل على أرضية العقد الاجتماعي، مع وضوحٍ في الالتزامات المتبادلة المشروطة بأفق زمني؛ لاستمرار أيِّ نظام سياسي[36].

تزايد الشباب (تدفُّق سريع، وتحدٍّ مركَّب، وحاجات متعدِّدة، وفرص صعبة)

لن تقود معدلات الخصوبة المتراجعة إلى إبطاء النمو السكاني، وإنَّما تقول إلى نقله في الهيكلية العمرية للسكان. سيتمثَّل في تضخُّمٍ في عدد الشباب، فقد أدَّت معدلات الخصوبة العالية مقترنة بتناقص في الوَفيَات بين المواليد الجُدُد والأطفال إلى حصول طفرة في عدد الأطفال في العراق، وبلغ قسم منهم فئة الشباب، فيما سيبلغ العدد الأكبر منهم هذه الفئة في السنوات المقبلة؛ ليؤدِّي إلى تدفُّق أعداد كبيرة من الشباب.

بيَّن الجدول الزيادة المتوقعة في عدد الشباب في العراق من العقدين الماضي والعقد المقبل (2020–2030) كما هو ظاهر يتجاوز زمرة العام (2020) العام (2000) تقترب من (20%)، مع زيادة التدفُّق حتى عام (2030) ليصل العدد إلى (12) مليون شاب.

يُعدُّ سكان العراق من أصغر السكان سناً في العالم، إذ إنَّ حوالي (50%) من سكانه تقل أعمارهم عن (19 سنة)، وما يقارب الثلث بين (15–29 سنة)، وخمسه بين (15–24 سنة)، ويتصف بارتفاع شبابه وَفْق المعايير الدولية لتجاوز (60%) مَن هم دون (25 سنة)، مقابل نسبة أقل بكثير مقارنة بدول العالم[37]، ويُعدُّ العراق من الدول المحدودة جداً التي ستبقى ثابتة نسبياً حتى عام 2050، وسيتراوح متوسط عمر السكان فيه (25–29 سنة) في وقت انتهت مرحلة الشباب فيه لدى جميع دول المنطقة، والعالم العربي، ما عدا أربع منها، ومن ضمنها العراق.

فمع انخفاض نسبة الشباب بعد عام (2030)، وتستمر بالانخفاض فبعد أن كانت تمثِّل ما يقارب (20%) من السكان ستكون (16.3%) في عام (2050)، ويعود هذا الانخفاض إلى التحوُّل نحو مرحلة النضج السكاني، ودخول طور الشيخوخة؛ لانخفاضٍ في الخصوبة السكانية.

36. الأمم المتحدة المنتدى العربي للسكان الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للشباب والمراهقة بيروت 2004 ص 22.
37. منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا جيل 2030 مصدر سابق ص 35 وما بعدها.

في هذه المرحلة المصيرية في الانتقال من الطفولة إلى البلوغ تؤثّر في الحاضر وفي المستقبل ويحتاج الشباب إلى الدعم على مستويات متعددة للانتقال الطبيعي والتلقائي إلى مرحلة البلوغ، وفي هذه المرحلة يتحوَّل الشاب من المدرسة إلى سوق العمل[38]، إذ سيزداد أعداد الشباب في العراق ليصل إلى ما يقارب (12 مليون) نسمة عام (2050) بعد أن كان (8.2 مليون نسمة) عام (2021). وبزيادة إجمالية ما يزيد عن (3.4 مليون نسمة)، وبزيادة سنوية تصل إلى (320 الف نسمة)، وتُعدُّ الأعلى في العالم، وستكون الزيادة في القوى العاملة هي العليا في العالم أيضاً بعددٍ يصل إلى أكثر من (1.3 مليون) في المدة (2015-2030)، في وقتٍ سينخفض فيه عدد الشباب في القوى العاملة في معظم دول المنطقة؛ لتتجاوز في بعضها (0.6- مليون)[39].

يُعدُّ الشباب الفئة الأكثر عرضةً لمشكلة البطالة دون غيرهم، وتتوفَّر دلائل على أنَّهم يلتحقون -بالضرورة لا بالاختيار- بالقطاع غير المنتظم؛ لكسب قوتهم، وتتسم أعمال ذلك القطاع بأنَّها عرضية في الغالب، ولا تتطلَّب تفرُّغاً كاملاً، ولا يتمتع مزاولوها بمزايا العمل الدائم، والأسوأ من ذلك أنَّها تضم العاملين لحسابهم عند حدِّ الكفاف، فبدافع الفقر، أو لعدم إمكانية الحصول على فرص عمل أفضل، لا يجد كثير من الشباب مناصاً من التحوُّل إلى الأنشطة غير الرسمية؛ لكسب الدخل.

تطور نسب السكان الشباب وأعدادهم في العراق حتى عام 2050[40]

السنة	النسبة%	الأعداد
2000	20.3	4879080
2005	20.2	5610160
2012	20	6346573
2015	20.4	7195860

38. منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا جيل 2030 ص61.

39. ينظر منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا جيل 2030 مصدر سابق ص 65.

40. علي عبد الأمير ساجت، شاكر محمود عيال، بطالة الشباب في العراق التفاوت والتحليل مجلة البحوث الجغرافية كلية التربية جامعة الكوفة العدد (27) 2018، الأمم المتحدة الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014 .

السنة	النسبة%	الأعداد
2021	19.9	8229410
2030	18.4	9419241
2050	16.3	11664888

ويعاني هذا القطاع من مشكلات وأزمات تمثِّل تحدياً في ذاتها. كلُّ هذا يجعلهم عاملين في فرص عمل غير لائقة حتى فقد التميز بين العمالة والبطالة معناه، ولم يَعُد لأيٍّ منها أهمية حقيقية، وتخلق أزمة الوظائف عجزاً في العمل اللائق[41]، ويضطر معظمهم إلى العمل الشاق، وساعات طويلة، لكن في وظائف هشَّة ذات إنتاجية ضعيفة، ولا يحصلون فيها على أجرٍ كافٍ؛ لإعالة أنفسهم وعائلاتهم، أمام نظم حماية اجتماعية عاجز. نلاحظ هذه الصور بقوة في العراق.

إنَّ مستوى انعدام الأمن في الوظائف، والشكوك بشأنها قد تزايد اليوم، فحتى حينما يكون لدى الأشخاص وظائف فهم يشعرون بالقلق بشأن عملهم، وقدرتهم على جلب القوت لأسرهم في الغد[42]. خصوصاً مع محدودية الحماية الاجتماعية الفعالة أو انعدامها، ويزيد من أهمية البطالة اقترانها بضعف الإنتاجية، وهبوط الأجور.

ولم يتمكنِ العراق من ضمان عملٍ مجزٍ للسكان المتزايد تزايداً سريعاً، ولا سيَّما الشباب، ومن المتوقَّع أن تتفاقم الصعوبات السياسية الكبيرة الناشئة من سيِّئ إلى أسوأ، مع ما قد يترتَّب عليها من عواقب اقتصادية، وسياسية غير محدودة. ولم يكنِ الأداء الاقتصادي في العراق مقترناً بأداء في مجال خلق الوظائف. ولم ينجح في زيادة نمو القطاعات الاقتصادية في مسايرة النمو الاقتصادي لنمو القوى العاملة. والشباب هم الأكثر تضرراً في هذا النقص، وهنا فإنَّنا في خطر جسيم في أن يخيِّب آمالهم، ولا يمكن أن يكون العقد المقبل لهم من دون أن نلبِّيَ حاجتهم من العمل، ففي عام 2012 بلغ النشطون اقتصادياً منهم (1887770)، وارتفع ليصل إلى (3044881) في عام (2020)، ثم إلى (2662000) عام 2025، وبمعدل بطالة (37%) كحدٍّ أدنى، ويرتبط ارتفاع الطلب والمشاركة بارتفاع حجم الشباب[43]. وتتناقص معدلات مشاركة الشباب في القوى العاملة بسرعة أكبر من البالغين، وانخفض معدل مشاركة الشباب في القوى العاملة (64%) عام

41. الاجتماع الإقليمي الآسيوي الرابع عشر، تحقيق العمل اللائق في آسيا،2006 ص3.
42. الاجتماع الإقليمي الآسيوي الرابع عشر، تحقيق العمل اللائق في آسيا،2006 ص2.
43. علي عبد الأمير البطالة والشباب حتى عام 2025 بحث وقائع المؤتمر العلمي لوزارة الشباب والرياضة سنة 2012 ص 38.

(2005) إلى (49%) عام (2017)، والشابات من (18%) إلى (5%) للمدة نفسها.[44] وتصل نسبة الزيادة في بطالة الشباب إلى (35%) في السنوات المقبلة، وبإضافة العاطلين ستبلغ (450000) شاب وشابة سنوياً.

ومع بلوغ بطالة الشباب مستويات قياسية تعاظم الإدراك بضرورة عمل على تمكينهم، ومعالجة الفجوة التي تتسع يومياً بين طلب سوق العمل وعرض القوى العاملة، مع ما يتميز به الاقتصاد العراقي من خصائص تتسم بخصال الاقتصاد الريعي ذلك أنَّ ما يقارب (95%) من موارده المالية هي من ثرواته الطبيعية المتمثلة بالنفط، ومع دخل أسري منخفض جداً، إذ يتعدَّى (50%) من أسر صفة الدخل الفقيرة والهشة[45]، مع زيادة نسب هذه الطبقة في السنوات الثلاث الماضية؛ بسبب تأثير جائحة (كورونا) على الأعمال، والدخول ارتفع فيها الفقر إلى (31%) من السكان أي: (1) من كل (3) من السكان يعاني من الفقر.

يخلق عدد الشباب الكبير فرصاً وتحديات للتنمية الاقتصادية في العراق، إذ يمكن للشباب أن يضيفوا حيوية وابتكار إلى الاقتصاد العراقي، ولكن إن لم يُدْمَجوا إدماجاً صحيحاً، فقد يشكِّلون استنزافاً للموارد الوطنية المحدودة، كما أنَّ انخفاض مستويات التعليم لدى الشباب يصعب عليهم تحقيق النجاح المطلوب، فهناك (3.4 مليون) شاب خارج المدرسة[46]. ولعلَّ من أهم الحاجات التي ينبغي توفيرها للشباب هي العمل، والتعليم، والزواج، وفي استطلاع شمل عديد من الشباب الدول العربية جاء في تقرير التنمية الإنسانية العربية كانت قضية فرص العمل على رأس اهتمامات الشباب الأكبر سناً، وبنسبة (45%)، وفي المرتبة الثانية للشباب الأصغر سناً بعد التعليم، ومع تحوُّل الهيكل العمري ستتحوَّل الأولويات للسكان بعد سنوات، فهي التعليم للأصغر سناً، ثم العمل للأكبر منهم، والزواج، وتكوين الأسرة، والصحة، وغيرها، ويكشف هذا التقرير حجم أهمية البطالة لدى الشباب.

44. علي عبد الأمير ساجت البطالة والشباب حتى عام 2025 بحث وقائع المؤتمر العلمي لوزارة الشباب والرياضة سنة 2012 ص57.

45. ينظر شاكر محمود عيال التحليلُ الجُغرافي لدخْلِ الأسر في العِراقِ وعلاقته بخصائِصها السُكانية للعامِ 2012، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآدب، قسم الجغرافية ونظم المعلومات الجغرافية سنة 2016.

46. مجموعة البنك الدولي، العراق الدراسة التشخيصية المنهجية عن العراق 2017 ص 38، كما يشير آخر مسوح وزارة التخطيط أنَّ ما يقارب (49%) من الشباب بعمر (17) سنة خارج المدرسة الآن (وزارة التخطيط الجهاز المركزي للإحصاء المسح العنقودي متعدد المؤشرات 2018، سنة 2019 ص 332.

ومن التحديات في هذا المجال هو انخفاض نسبة مَن حصلوا على تعليم، أو قدرات ومهارات فما يقارب (18%) من الشباب لم يحصلوا على أيّ تعليم، أو فرصة عمل، أو تدريب، وهنا ستواجه الحكومة تحدياً مركباً اتجاه توفير فرص العمل الأول يتمثَّل في قدرة الاقتصاد على توفير عرض العمل، وتوسعة سوقه في القطاع الخاص، والثاني خصائص السكان الشباب النوعية خاصة في مجال التعليم، والقدرات، والمهارات.

فلا يكمن تحدي عمالة الشباب بالعمر، بل تتعلق بكمية العمالة، ونوعيتها، فمع التغيير الكمي الكبير الذي ما زال يتمثَّل في دخول أفواج واسعة في العمل، وما زال التغيُّر النوعي محدوداً، في حين يستطيع بعض الشباب الحصول على وظائف لائقة بعد إتمام تعليمهم، لكن كثيرين غيرهم يواجهون صعوبات عند الانتقال من نظام التعليم والتدريب إلى سوق العمل، يتمثَّل في التأثير المحدود للتعليم في العمل، وجميع هذه الحالات لها تمثلاتها في العراق[47]، ومنها أيضاً الافتقار إلى الخبرة في ميدان العمل، فأصحاب العمل يفضِّلون العمال ذوي الخبرة، وكثيراً ما يجد الشباب أنفسهم في آخر الصف للحصول على الوظائف.

1. ضعف التنافسية مع البالغين الذين هم بالفعل في سوق العمل، ويتمتعون بأفضلية على الشباب الذين يحاولون دخول سوق العمل.

2. تحفظات الشباب تجاه الأجر والوظيفة فيما يخص دخول سوق العمل (كمستوى الراتب، ونوع الوظيفة الذين على استعداد لقبولهما)، وهناك عدم تكافؤ في أحيان كثيرة بين تطلعات الشباب وخصائص سوق العمل.

3. القيود المفروضة على قيمة العمل للحساب الخاص وتنظيم المشاريع.

4. الافتقار إلى التنظيم والتعبير عن الرأي؛ لأنَّ الشباب في أغلب الأحيان لا يحظون بالتمثيل في نقابات العمال، أو منظمات أصحاب العمل، ولا تتوفر لديهم سوى قلة من القنوات التي يمكنهم عبرها الإعراب عن شواغلهم واحتياجاتهم[48].

سيكون هناك اتساع متزايد للقطاع غير الرسمي بصورة حتمية، ويمثِّل في أحد جوانبه أبرز ملامح أزمة العمل، ومنها العمل المقبول، ويتأثر السكان بهذه الأوضاع إلا أنَّ الأكثر تأثُّراً هم

47. مسح الفتوة 2020 مؤشرات.
48. الاجتماع الإقليمي الآسيوي الرابع عشر، تحقيق العمل اللائق في آسيا، 2006، ص 55.

الشباب، ويشكلون (40%) من العاطلين، وهي ضعفي أو ثلاثة أضعاف النسبة الكلية، وكثيراً منهم لا يجدون سوى أعمال مؤقتة محدودة الأجر، وبِلا ضمانات، وعلاقات عمل تفتقر إلى الصبغة التعاقدية.

ومع الانتقال من هيمنة القطاع العام إلى هيئة القطاع الخاص الحتمية والتدريجية، فيجب أن يُحسَّن الأخير، فهو قطاع غير نامٍ، اجتمعَ على تكوينه إرث من الاستبداد، وسوء الحكم، والصراعات، والاعتماد على النفط، وسندات من التهميش لفئة لا تملك فرصاً لإسماع صوتها للحكومة؛ ممَّا يحدُّ بصورة كبيرة من مدى تأثيرها في السياسات والأنظمة التي تؤثر فيها، وخلق –جميع ذلك وغيرها– بيئة غير مؤاتية للقطاع الخاص، ولا سيَّما المؤسسات الصغيرة، وفي بيئة كان لها تأثير المباشر على الاستثمار الخاص تقلصت فيها ثقة المستثمرين[49]. ونتيجة لذلك، أصبح خلق فرص العمل أحد أكبر التحديات في العراق؛ لعدم استطاعة القطاع الخاص بالقيام بدوره كمنشئ لفرص العمل.

وتعالج الدول العربية –ومنها العراق– موضوع تشغيل الشباب بسياسات التدخُّل في سوق العمل عن طريق خدمات التشغيل في القطاع العام، وبرامج التدريب، والتعليم المهني والتقني وإعانات التشغيل، وبرامج الأشغال العامة، وتطوير المشاريع الصغيرة والمتوسطة، ولكنما يزال تأثير هذه السياسات محدوداً، إذ لا يستفيد منها سوى شريحة محدودة من الأفراد كما أنَّ هذه السياسات غير مدمجة على النحو المطلوب في الإستراتيجيات ذات قدرة محدودة على التنسيق المنتظم، والمنهجي بين مقدمي الخدمات، وعلى تجنُّب تجزئة الخدمات المقدمة[50].

ينبغي على الحكومة هنا تكثيف الجهود؛ لوضع السياسات التي تستهدف الغياب وتنفيذها، إذ يجب أن يستفيد التخطيط التنموي من فرصة تحسين نوعية التعليم، والتدريب، وتأمين فرص عمل منتجة للشباب، وهي استجابة لا بدَّ منها تجاه التحدي المركب الذي سيواجه العراق، والمتمثِّل في التزايد الكمي، وتدنِّي المستوى النوعي للسكان الشباب خصوصاً.

عملت بعض الدول العربية على تفعيل برامج خاصة بتشغيل الشباب مثل برنامج إنجاز في الأردن، ومشروع سند في عمان، ووالداكم في الكويت، والحريري في لبنان، والبرنامج الوطني

49. ينظر للمزيد: المصدر نفسه ص 6263.

50. الأمم المتحدة، الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2013 ص 43.

للتوظيف والتدريب في البحرين[51]، وعلى العراق أن يشرع في برنامج خاص مستقل في إدارته ويوفر له الدعم القانوني والمالي.

التعليم والمهارات (مواجهة اليوم، وتحديات المستقبل، والاستجابات السريعة)

يتحدَّث الجميع بأنَّ التعليم أداة مؤثرة في الحد من الفقر، وتمكين الناس، وزيادة الدخل الخاص، وتعزيز بيئة صحية، وإيجاد اقتصاد تنافسي، وهو يؤدِّي دوراً حاسماً في تعلُّم الأجيال المقبلة، وكيفية التعامل مع التعقيدات[52]، وأمام هذه العوائد فإنَّ من الطبيعي أن يعاني العراق من ارتفاع الفقر، وضعف خيارات الناس في الحياة، وانخفاض الدخل الخاص، وتدهور البيئة الصحية، وضعف الأداء الاقتصادي، وتحدي الأجيال المقبلة، لانخفاض مؤشرات التعليم لدى سكانه، وبصورة قد لا يتوقعه بعضهم، ومراجعة لعدد من المؤشرات التعليمية، وعلاقاتها يمكن ملاحظة ذلك. ففي مجال المستوى التعليمي للسكان تشير الإحصائيات الرسمية إلى أنَّ ما يقارب (80%) من السكان هم من دون الدراسة المتوسطة، ويتوزعون في الحالة التعليمية الأمية، والقراءة، والكتابة، والابتدائية، والمتوسطة[53].

وما زال ضياع الفرص التعليمية مستمرة، ففي عام 2015 بلغ عدد غير الملتحقين في الدراسة الابتدائية والثانوية (3741066)[54]، و (3507714) لعام 2018[55]، ومع إضافة مؤشرات الهدر الأخرى فالتسرُّب، وترك المدرسة في السادس الابتدائي –على سبيل المثال لا الحصر– بلغ في عام 2019 (111280) تلميذ، و(266406) طالب في الثالث المتوسط للعام نفسه[56]، وهي أعداد كبيرة ستفقد، مع وجود حالات أخرى كالرسوب وطول سنوات التدريس، وتتعمق الفجوة بين الجنسين لتزداد حدَّة لدى الإناث ممَّا يضعف أدوار المرأة المتعددة، منها ما يرتبط بالدور الأسري، وأهمه تعليم الأجيال المقبلة.

51. المصدر نفسه ص 49.
52. الأمم المتحدة، الاسكوا، أقل البلدان العربية نمواً تحديات وفرص التنمية 2020 ص44.
53. وزارة التخطيط الجهاز المركزي للإحصاء، تقديرات 2019.
54. علي عبد الأمير ساجت، تحليل مكاني لالتحاق السكان في التعليم قبل الجامعي، حوليات عين شمس المجلد 46 القاهرة 2018.
55. جاسم جبار شريف مشتت الغريباوي تحليل العلاقات المكانية لمؤشرات التحاق السكان في الدراسة قبل الجامعية في العراق للعام الدراسي 20172018 رسالة ماجستير جامعة بغداد كلية الآداب قسم الجغرافية ونظم المعلومات الجغرافية 2021 ص 152.
56. المصدر نفسه ص 220 221.

ساهمت هذه الأوضاع في تدني مستوى المهارات، والقدرات لدى السكان حتى المتعلمين منهم، والذين يفتقرون أيضاً إلى تلك المهارات والقدرات، وبعد التدريب المهني الجزء الأضعف في نظام التعليم في العراق، في حين يتعيَّن أن تكون مناهج التدريب المهني المطورة والمشتملة على التدريب عن طريق ممارسة العمل، والتعلُّم المستمر من المكونات الأساسية.

ويعاني طالبي العمل خاصة من الداخلين الجدد للسوق العمل من عدم التوافق بين المهارات التي يتطلبها سوق العمل، ومهارات المتعلمين في أنظمة التعليم الحالية، والتي تسهم مساهمة أساسية في البطالة، ويكون لها الأثر السلبي نفسه في التعليم، وحتى المتعلمين منهم، والذين يدخلون إلى سوق العمل غالباً ما يفتقرون إلى المؤهلات التي تلبي متطلبات هذا السوق، وتضعف فرصهم في الحصول على وظائف لائقة؛ بسبب عدم امتلاكهم مهارات تمكِّنهم من التنقل في مجموع الفرص التي تظهر في سوق العمل، أو في هذه الحالة أنَّ قابلية التدريب، والقدرة الفردية على الاستيعاب عاملاً أهم بكثير من مؤهلات العمل الأساسية، ومهاراته المهنية.

إذ يقلِّل التركيز الحاصل اليوم على مهارات خاصة بعمل محدد من قدراتهم على التكيُّف مع الطلبات السريعة لسوق العمل، لذا يجب إجادة مهارات خاصة بأعمال محددة، والتشديد على تنمية المهارات المعرفية وغير المعرفية القابلة للنقل[57]، إذ يواجه كثير منهم صعوبات لإيجاد وظيفة؛ لعدم تكافؤ النتائج التعليمية، وسوق العمل.

ولم يعد مستوى التعليم والتدريب بمفرده مهماً، بل يساويه في الأهمية جودتهما، وملاءمتهما، والذي حدث في العراق أنَّه نتيجة رداءة نوعية التعليم، وعدم فائدة التعليم النظامي في الغالب، وخصوصاً ما يتعلَّق بالتكاليف المرتبطة به، فقد توقف الشباب المنتمون للأسر الفقيرة الهشة عن الدراسة، وبدأوا بالدخول إلى سوق العمل بوقت مبكر مقارنة بما كانوا سيفعلونه في حال التحاقهم بالتعليم.

في قبال هذه الخصائص النوعية التي عمَّقت من تحدي التغيرات الكمية، وهي من نواتجها، فلا بدَّ من اتخاذ تدابير ترمي إلى تعزيز نوعية عرض رأس المال البشري، وهو أمر أساسي قائمة على التوسُّع في إمكانيات الانتفاع المنصف بالتعليم والتدريب التقني والمهني وَفْق الربط مع عالم العمل، ويجب أن يعتمد تقييم آثار تلك التدابير ونتائجها مع تطوير آليات جمع البيانات عن الانتقال من عالم التعلُّم إلى عالم العمل.

57. الأمم المتحدة، الاسكوا، أقل البلدان العربية نمواً تحديات وفرص التنمية 2020ص43.

ومن التحديات التي يواجهها العراق هو توفير برامج التدريب المرنة، والموجهة نحو العمالة، وتكون واسعة النطاق، وقائمة على الكفاءة، وقابلة للتكيُّف والمرونة في أسواق العمل المتسمة بالتغيُّر، ومنها اتخاذ تدابير تقليص التوقف عن الدراسة، وتوسعة التعليم غير النظامي مع إدخال تحسينات في التعليم النظامي. ولا يمكن أن تنجح هذه التدابير من دون إقامة العلاقة بين هذه البرامج والقطاعات الاقتصادية في سوق العمل.

الانتقال نحو الشيخوخة (التحوُّل المعتدل، والخطر المقبل والوقت المتاح)

للتغيير في الخصوبة السكانية نحو الانخفاض، واستمرار هذا الاتجاه في العقود المقبلة بدأ النمو السكاني في الانخفاض أيضاً، وأحدث هذا الوضع السكاني اختلافاً في معدلات نمو الفئات العمرية، بدأ معه تغيراً هيكلياً في الهيكل العمري، وسيتمثَّل في المرحلة الحالية في تضخُّم الشباب، وارتفاع نسبة السكان في سن العمل (64-15) سنة، وفي الوقت نفسه ستبدأ مرحلة ثانية من التحوُّل تتمثَّل في ارتفاع نسبة كبار السن، وأعدادهم حتى الدخول في طور الشيخوخة، وتمثِّل هذه الانتقالة الناتجة من عملية ديموغرافية يزداد فيها عدد كبار السن، ونسبتهم من السكان؛ لانخفاض الخصوبة انخفاضاً رئيساً[58]، وتحسن في العمل المتوقع، ويلاحظ أنَّ في (75) سنة للمدَّة (1950-2025) ستتراوح نسب كبار السن من (3.6%-2.8)، وبتغير نسبي (0.8%) فقط، في حين سترتفع النسبة إلى (7.2%) من السكان في عام (2050) بتغير نسبي بلغ (3.6%) في (25 سنة) فقط، ويشير هذا التغير إلى سرعة نمو هذه الفئة العمرية؛ لارتفاع أمد الحياة، وانخفاض الخصوبة، وبدأ تحول السكان نحو هذه الفئة، ويمثِّل هذا التغيُّر الكمي تحدياً للعراق في المستقبل القريب، ليس من جانبه الكمي الذي يتمثل في تضخم كبار السن ليتجاوز عددهم (5 مليون) في ثلاثة عقود من الآن، وضرورة توفير الاحتياجات الخاصة لهم من الرعاية الصحية والاجتماعية، وتحسين نوعية حياتهم، ممَّا يعني بالتأكيد زيادة كبيرة في الطلب على تلك الحاجات، إذ يجب أن تتوافق مع نمو من العرض سيواجه العراق تحدي رعاية كبار السن؛ بسبب التحوُّل من رعاية الأسرة إلى الرعاية المؤسساتية، وهذا الأخير ناتج من تغيُّر حجم الأسرة في العراق وتركيبها في العقود المقبلة.

58. (الأمم المتحدة الاسكوا السكان والتنمية الشيخوخة بكرامة في المنطقة العربية 2017 ص 22)

تطور نسب كبار السن في العراق وأعدادهم للمدَّة 1950–2050[59]

السنة	النسبة%	الأعداد
1950	2.8	160192
1997	2.7	749572
2010	3.4	1104660
2015	3.1	1110000
2025	3.6	1686823
2050	7.2	5018000

سيكون عام (2050) بداية الانتقال نحو الشيخوخة[60]* في العراق، ويصنَّف هذا الانتقال بالمعتدل[61]، إذ سيتيح هذا المستوى من السرعة في الانتقال المجال للتهيُّؤ والاستعداد لهذا التغير، ولكن من المؤسف أنَّ هذه الانتقالة لا تلقى الانتباه الذي تستحقه في العراق، إذ إنَّ المتوقَّع أن تكون النتائج الاجتماعية والاقتصادية للشيخوخة نتائج حادة، ممَّا يستدعي سياسات جوهرية أمام (المنحدر الديموغرافي) –الذي وإن كان بطيئاً إلَّا أنَّه مستمر–، ومن المتوقع أن يستمر ليصل ذروته في عام 2100، ممَّا يعوِّق من تحدي هذا التغير الديموغرافي هو تغيُّر مسؤوليات الرعاية والعلاقات بين الجنسين له آثار على الهياكل الأسرية، حيث إنَّ الاتجاه نحو الأسر النواتية بدلاً من الأسر الممتدة التي تتعايش فيها أجيال عديدة، ومن المرجَّح أن يعطِّل هذا الاتجاه الوسائل التقليدية لتوفير الرعاية الأسرية، والدعم لأفراد الأسرة الأكبر سناً في المنزل نفسه، وهو ما يحدث اليوم في الغالب، ولن يكون متاحاً في المستقبل القريب، وسيكون لعامل تقلُّص حجم الأسرة نفسها وتغيُّر الترتيبات المعيشية وتزايد مشاركة المرأة في سوق العمل وتزايد حركة الهجرة وانخفاض الخصوبة وارتفاع معدلات

59. الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعات الإحصائية وتقديرات السكان، الأمم المتحدة الاسكوا السكان والتنمية الشيخوخة بكرامة في المنطقة العربية 2017، الأمم المتحدة الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014.

60.* تحسب مرحلة الانتقال إلى الشيخوخة بالاستناد إلى نسبة السكان من الفئة العمرية (65 سنة فأكثر) من مجموع السكان، ويُعدُّ سكان بلد ما في طور الشيخوخة حينما تتراوح نسبة كبار السن منهم (14.7%)، وهي بداية الانتقال إلى الشيخوخة.

61. الأمم المتحدة الاسكوا السكان والتنمية الشيخوخة بكرامة في المنطقة العربية 2017ص13.

بطالة الشباب تغيُّراً هيكلياً في المجتمع، وسيكون الدعم الأسري محدوداً، أو معدماً لكبار السن[62]. إذ تقدِّم الأسرة الدعم الأسري للمسن من العزلة والإهمال والعوز عن طريق تأمين الدعم المالي والعملي والعاطفي له، ولكن قدرة الأسرة على توفير الرعاية لكبير السن تضعف، وستضعف أكثر في المستقبل القريب[63].

ويجب هنا تأمين وسائل جديدة لضمان الرعاية، ومنها خدمات التمريض، وبيوت الشيخوخة، والتدخُّل بشأن أدوار الرعاية داخل الأسرة[64]، فهو تغيير كمي سيرافقه تغيير نوعي يعمِّق من المشكلات الناجمة عنهما.

وتزداد مهمة الاستجابة لاحتياجات كبار السن تعقيداً، بفعل ما يشهده العراق من أوضاع وضعف كفاءة الخدمات الصحية والاجتماعية وكفايتها أمام زيادة الأعباء، يجب الإسراع في وضع إستراتيجيات متماسكة، وإجراءات شاملة حول هذا التغير على مستوى السياسات العامة؛ لتلبية الاحتياجات الصحية، والاجتماعية، والاقتصادية، والاستجابة للمطالب التي ستزداد مستقبلاً؛ بفعل زيادة أعدادهم، ولا بدَّ من تحوُّل جوهري في كيفية النظر لهذه المسألة وفهمها، وتتعلَّق هذه الإجراءات في إصلاح المنظومة الصحية والاجتماعية والقدرة على أن تقدِّم للمسنين دخلاً يسمح لهم العيش بكرامة بعد التقاعد، والذي يستمر لأكثر من عقد من الزمن في المتوسط وسيزداد مستقبلاً، بدأً ممَّن هم اليوم، ومَن سيكونون غداً في سن الشيخوخة.

إنَّ لتحديد مدة الانتقال إلى الشيخوخة أهمية بالغة لصانعي السياسات، وعليهم أن يدركوا أنَّ الفترة التي تسبق مرحلة الانتقال إلى الشيخوخة، ويقصد بها الآن هي فترة مفصلية للشروع في وضع الخطط والسياسات وتنفيذهما اللتان تعالجان احتياجات كبار السن[65]، أمَّا في العراق فإنَّها متاحة حتى هذا الوقت، لكنَّها لن تكون كذلك في السنوات المقبلة، فالزمن المتبقي لاستحداث برامج فعالة ومستدامة تتناسب مع التغيير في السكان نحو الشيخوخة، سيصبح قصيراً مع التأخير في البدء بالعمل.

فمن القضايا التي ينبغي أن تعالج على المستوى القصير هو معالجة تدنِّي الإنفاق على

62. ينظر الأمم المتحدة الاسكوا السكان والتنمية الشيخوخة بكرامة في المنطقة العربية 2017ص ص7.
63. الأمم المتحدة الاسكوا السكان والتنمية الشيخوخة بكرامة في المنطقة العربية 2017 ص6.
64. ينظر الأمم المتحدة الاسكوا السكان والتنمية الشيخوخة بكرامة في المنطقة العربية 2017ص ص53.
65. الأمم المتحدة الاسكوا السكان والتنمية الشيخوخة بكرامة في المنطقة العربية 2017ص33.

القطاعات ذات الصلة بهذه البرامج؛ لرفع نطاق تغطيتها، والتي يعاني منها اليوم نسبة كبيرة من كبار السن في العراق، إذ يقتصر الضمان الاجتماعي على المتقاعدين من العاملين في القطاع العام، وهو دخل يقترب من الحد الأدنى للمعيشة، ويجب هنا أن تتخذ الحكومة تدابير تضمن شيخوخة لائقة لسكانها الذين هم في سن العمل اليوم.

ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى انعكاس أوضاع السكان في سن العمل (64-15) انعكاساً مؤثراً على أوضاعهم ككبار في السن، فإنَّ الترابط بين السياسات تجاه السكان في سن العمل اليوم، وتلبية احتياجاتهم، خصوصاً العمل والاستثمار الأمثل لرأس المال البشري، وتحسين نوعيته سيحقِّق عوائد على المدى البعيد في مجال تحسين نوعية حياة كبار السن ستوفِّر عوائد متعددة الأبعاد منها تخفيف الكلف للرعاية الاجتماعية والصحية، فهي مساهمة للسكان في هذه السياسات يجب أن يجدوا فرصة عمل لفعاليتها.

وفي ظل ارتفاع متوسط العمر المتوقع، إذ سيرتفع مؤشر التعمير من (8.2) إلى (25.7) كما تشير التقارير الدولية، وستبرز الصحة هما أولي لكبار السن؛ لأنَّهم أكثر عرضة للمرض، والعجز، والزيادة المتوقعة في عدد كبار السن، ستقابلها زيادة في الطلب على الخدمات الصحية، والرعاية طويلة الأجل، غير أنَّها لا تتوفر حالياً في العراق، وسيزداد الطلب على المتخصصين في علم طب الشيخوخة، والتي لا يعمل العراق على تدريب عددٍ كافٍ من المتخصصين فيه أو توظيفهم.

ومن الصعوبات التي يجب معالجتها توفير البيانات الكمية والنوعية المطلوبة لهذه السياسات، والاهتمام برصد تحقيق أهدافها المنشودة وتقييمها، ومراقبة التقدُّم المحرز، ويفتقر العراق لمسوح خاصة بأوضاع كبار السن تمكِّن من بناء تلك السياسات بناءً منتجاً على بيانات موثوقة.

ممَّا سبق فإنَّ تحقيق إمكانيات وتلبية احتياجات الفئات العمرية المختلفة (الأطفال، والشباب، والسكان في سن العمل، وكبار السن) مع الفروقات الجنسانية، أصبح ضرورة؛ لأنَّها تمثِّل تحديات متعددة ستلقي بظلالها على حياة السكان، والبلد، وهي في مسار حتمي يمكن تحويلها إلى فرص ممكنة باتجاه إيجابي يعالج تلقائياً مشكلات حالية ومستقبلية. وحتى الآن توصف الاستجابات بالمعدومة، أو الضعيفة في العراق.

مؤشرات الشيخوخة في العراق والبلدان العربية 2010–2050[66]

البلد	2010			2050		
	نسبة إعالة كبار السن (65+)	نسبة إعالة الأكبر سناً (80+)	مؤشر التعمير	نسبة إعالة كبار السن (65+)	نسبة إعالة الأكبر سناً (80+)	مؤشر التعمير
الأردن	5.5	0.6	9.7	19.5	3.4	56.9
الإمارات العربية المتحدة	0.4	0.1	2.5	38.3	1.9	219.3
البحرين	2.7	0.4	10.4	26.7	4.7	135.6
تونس	10.0	1.7	29.5	37.7	10.0	141.3
الجزائر	6.9	1.0	17.5	21.8	3.3	70.8
جزر القمر	5.3	0.8	6.9	8.5	0.9	16.4
الجمهورية العربية السورية	6.2	0.9	10.4	19.4	4.0	62.9
جيبوتي	6.0	0.8	10.9	15.8	2.7	44.2
السودان	5.7	0.7	7.5	9.3	1.2	19.9
الصومال	5.7	0.7	5.9	5.7	0.7	9.1
العراق	6.1	0.9	8.2	11.2	1.6	25.7
عمان	3.6	0.7	9.1	32.4	3.9	141.7
فلسطين	5.1	0.6	6.6	11.9	2.1	29.3
قطر	1.2	0.1	7.5	47.5	6.2	304.9

66. الأمم المتحدة الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2014 ص47.

البلد	2010			2050		
	نسبة إعالة كبار السن (65+)	نسبة إعالة الأكبر سناً (80+)	مؤشر التعمير	نسبة إعالة كبار السن (65+)	نسبة إعالة الأكبر سناً (80+)	مؤشر التعمير
الكويت	2.9	0.3	8.5	15.9	1.8	57.3
لبنان	12.5	1.9	35.6	42.2	13.3	192.0
ليبيا	6.9	1.1	15.5	28.9	6.0	110.4
مصر	8.7	1.3	17.4	18.7	3.5	56.3
المغرب	7.5	1.2	17.8	23.5	4.6	75.5
المملكة العربية السعودية	4.5	0.9	9.7	28.0	5.5	115.9
موريتانيا	5.5	0.6	7.7	9.6	1.1	19.6
اليمن	4.9	0.6	6.5	9.0	0.9	26.7
المنطقة العربية	6.6	1.0	12.4	17.9	3.1	50.2
إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى	5.8	0.7	7.1	8.0	1.0	14.5
شرق آسيا	13.3	2.6	54.5	41.8	12.4	174.0
أوروبا	23.9	6.2	106.1	46.6	16.4	174.9
أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي	10.4	2.2	24.1	30.5	9.0	109.5
أمريكا الشمالية	19.6	5.4	67.6	36.2	13.4	121.1
العالم	11.7	2.4	22.6	24.7	6.5	73.2

التغير السكاني الحلول الممكنة والطريق الوعر:

في إطار ما يحدث، وسيحدث من تغييرات سكانية كمية ونوعية وحتمية تأثيراتها المباشرة وغير المباشرة لا بدَّ من الحاجة إلى التوجيه والتخطيط لعدد منها، والتهيؤ والاستعداد واستثمار عدد آخر؛ للتخفيف من آثارها، أو تحقيق الرفاه مقابل معاناة السكان وحرمانهم في مجتمعنا السكاني، ولكل من هذه التغييرات مسار للعمل له خصوصيته، وفي الوقت نفسه، فإنَّه مترابط مع المسارات الأخرى، فقضايا السكان مترابطة لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى في المشكلات والحلول، وفي تشابكها هذا فهي جزء من حياة السكان ومعيشتهم، وهو المبدأ المتفق عليه عالمياً من ربط قضايا السكان بالتنمية.

فيجب على صانعي السياسات من تقييم إمكانات كل فئة عمرية، وتحديد التدخُّلات المطلوبة؛ لمساعدتها على تحقيق تلك الإمكانيات، ومن هذا المنطلق ينبغي التخطيط لتحقيق الإمكانيات الاقتصادية التي تتميَّز بها كل فئة عمرية كما ينبغي تأمين الخدمات الكافية، وعالية الجودة؛ لتلبية احتياجات السكان في انتقالهم من مرحلة إلى أخرى على مدى دورة الحياة والبحث في كيفية تأثير التغيرات الديموغرافية وغيرها من العوامل على مصادر تمويل هذه الخدمات، ومن الجدير بالذكر أنَّ السياسات الحالية –إنْ وُجِدَت– فإنَّها منفصلة عن الوقائع الديموغرافية المستجدة في العراق، فلا بدَّ من المباشرة بتلك السياسات منطلقة من البعد الديموغرافي الجديد، والمتغيِّر، والتخلِّي عن النهج الإنمائي التقليدي، إذ يجب في العراق تأمين الدعم السياسي لهذه التغييرات، وعدّها مشروعاً تنموياً، واعتمادها في تحسين الكفاءة الاقتصادية.

واعتماد نهج دورة الحياة في التخطيط الإنمائي؛ لأنَّه يتيح رصد إمكانيات جميع الفئات العمرية، وتحديد التدخُّلات المطلوبة لمساعدتها على تحقيق إمكانياتها كاملة بمختلف مراحل التحول في الهيكل العمري، فهو تحقيق أكبر قدر ممكن من الفوائد من التغييرات الديموغرافية عبر التخطيط لتحقيق الإمكانات الاقتصادية للسكان في كل فئة عمرية، وتلبية الخدمات الكافية، وعالية الجودة؛ لتلبية احتياجات كلٍّ منها، وتأثير التغييرات الديموغرافية على وسائل تمويلها[67].

67. ينظر للمزيد الأمم المتحدة، الاسكوا، آثار التحولات في الهيكل العمري للسكان على السياسات التنموية في البلدان العربية 2013.